صـــــورة في إطار

قصص قصيرة

سعاد عبدالله

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف

الطبعة الأولى

دار النسر الأدبية

من الوايلي إلى شبرا

من الوايلي إلى شبرا

كانت سيارة هيئة النقل العام "الطلبة عباسية مسرة" تسير في شوارع العباسية بسرعة متغيرة ، و كانت ليلى جالسة على مقعد بالجانب الأيمن من السيارة قرب المقدمة فى حالة ضيق شديد ، إذ كانت خالتها الحبيبة راقدة منذ يومين على فراش المرض بمستشفى عين شمس التخصصى .

بعد لحظات ، أرادت ليلى أن تنفض عن ذهنها التفكير فى ما يسبب لها الحزن و الضيق ، فألقت ناظريها إلى الجانب الأيمن من الطريق حيث تتابعت المرئيات أمام ناظريها .

أراد الراكب الجالس إلى يمين ليلى أن يهبط فى المحطة التالية، فنهض و أفسحت ليلى مكاناً له ليذهب إلى الباب الأمامى ، و احتلت مكانه إلى جوار النافذة ، و شغلت بما يدور فى ذهنها .

ثم وقفت السيارة فى محطة الوايلى ، و انتشرت فى السيارة حركة دائبة ، و صعدت عنايات ، و جلست بسرعة إلى جوار ليلى ،

ووضعت على الأرضية بجوار قدمها الأيسر حقيبة سـوداء كبيـرة مصنوعة من البلاستك و جلست باسترخاء فصدمت كتف ليلى .

نظرت ليلى إليها بضيق ، و قالت :

- احذري .

ابتسمت عنايات ، و قالت :

- متأسفة .

ابتسمت ليلى ، و قالت :

- لا داعي للأسف .

- رعاك الله يا ابنتى ، الشباب هم الأمل فى المستقبل .

لم ترد ليلى ، فكسى شيء من الضيق وجه عنايات و قالت :

- كيف هجم علينا حر الصيف هكذا ؟!

لم تجد ليلى لديها رغبة فى أن ترد ، و االتفتت إلى عنايات ، و رأتها تنظر إليها منتظرة الرد ، فقالت :

- تشتد حرارة الجو فى مثل هذا الوقت من العام ، نحن فى شـهر يوليو

-إلام يستمر هذا ؟! الشتاء أفضل من الصيف بكثير .

لم ترد ليلى ، فحملقت عنايات فى وجهها ، و تساءلت :

- ألست مثلى ممن يحبون برودة جو الشتاء ؟

أجابت ليلى :

– الشتاء أفضل فى كثير من النواحى ، خصوصاً إنه يجعل الإنسان أكثر قدرة على العمل .

تساءلت عنايات :

– ما عملك ؟

– معيدة بكلية الاقتصاد و العلوم السياسية .

أرادت عنايات أن تعرف المزيد عن ليلى ، فلم تجب ليلى و لاح الضيق على وجهها ، و ألقت ناظريها إلى الطريق كأنها تلوذ به .

بعد لحظات لاح على عنايات أنها تذكرت شيئاً هاماً ، أخذت تبحث عنه فى الحقيبة ، و عندما لم تجده لطمت صدرها بقوة انتزعت ليلى من أفكارها ، فنظرت إلى عنايات فى شيء من الانزعاج و حب الاستطلاع ، فقالت عنايات بضيق :

– يا لها من مصيبة ! أين الحقيبة ؟

نظرت ليلى إليها فى دهشة ، و تساءلت :

– أية حقيبة هذه التى تبحثين عنها ؟

أجابت عنايات بضيق أشد :

– لقد نسيت الحقيبة الأخرى بالمتجر ، بها دجاجتان كبيرتان .

تساءلت ليلى :

– أين وضعتها ؟

أشارت عنايات بيمناها تجاه الحقيبة ، و أجابت :

- داخل هذه ، ثم أسرعت إلى السيارة و ركبت ، و الآن فقط اكتشفت أنها ليست بالحقيبة .

ثم اغرورقت عيناها بالدموع ، و أردفت :

- ماذا أفعل ؟ إننى فقدت الحقيبة ، زوجى رجل قاسى القلب . عندنا ضيوف من البلدة ، إذا علم زوجى سوف يطلقنى أو يقتلنى .

و أجهشت بالبكاء فى الحال ، و حاولت ليلى أن تسكن روعها فانخرطت عنايات فى بكاء أشد ، ففكرت ليلى لحظة ، ثم قالت :

- عودى إلى حيث أتيت و ابحثى عن الحقيبة .

قالت عنايات من خلال دموعها :

- من استولى على الحقيبة لن ينتظر إلى أن أعود إليه و أستردها منه

لاحت على وجه ليلى آيات التفكير ، و نظرت عنايات إليها خلسة ، و استغرقت فى التفكير لحظة ، ثم نهضت قائمة و التفتت حولها فى ضيق و حيرة ، وقالت كأنها تخاطب نفسها :

- ماذا أفعل ؟ ليس لدي أقارب يتعاونون معى .

نظر عدد من الركاب إلى عنايات باستطلاع ، و سألها بعضهم عما أصابها ، أجابت عنايات على أسئلتهم من خلال دموعها ، فسعوا إلى تهدئتها دون أن يفلحوا .

و كان السائق متابعاً للموقف ، و تظاهر بعدم الاهتمام ، وباغتته عنايات بالسؤال عما يجب أن تفعل ، ففكر لحظة ، ثم أجاب:

- اهبطى فى المحطة القادمة و عودى إلى المتجر و ابحثى عنها .

قالت عنايات بأسف :

- كنت أعتقد أنك الآمر الناهى فى هذه السيارة ، لكن .. يبدو أننى أخطأت .

غضب السائق و جاهد ليتمالك السيطرة على أعصابه ، و قال :

- اهبطى إذن .

و أوقف السيارة إلى الجانب الأيمن من الطريق ،وأعاد ما قال، و ظلت عنايات جالسة فى مكانها لا تتزحزح عنه قيد أنملة ، و ظلت السيارة واقفة ، فأثار ذلك غضب عدد من الركاب ، و قال أحدهم :-

- من فضلك قد السيارة ، لدينا أعمالنا .

قال السائق فى غضب :

- لن أتلقى منكم الأوامر ، إننى أعرف متى تسير السيارة و متى تقف .

قال الراكب باحتداد :

- كل ما أعرفه هو أنك يجب أن تتبع المواعيد .

صاح السائق قائلاً :

-أنت لن تعلمنى عملى .

و فتح الباب ، و غادر السيارة ، و وقف على مقربة منها ، تبعه عدد كبير من الركاب ، و التفوا حوله ، و دار بينه و بينهم حديث قصير سعى فيه كل منهم إلى تهدئة ثائرة السائق .

بعد فترة قصيرة عاد السائق إلى السيارة ، و هو يقول :

– ما ذنب هؤلاء الذين لا ذنب لهم و لا جريرة ؟

و ساد الصمت أجواء السيارة برهة ، ثم شق الصمت فجأة ضحكة عالية دوى تردد رنينها فى أرجاء السيارة أطلقها راكب يدعى سالم ، ثم قال :

– و الله هذا أمر عجيب ، يدفعنى شيء ما بداخلى إلى أن أقدم العون لهذه السيدة .

و نظر إلى عدد من الركاب ، و قال :

– ما رأيكم أيها السادة ؟

أبدى كثيرون منهم استعداده ، و تساءل أحدهم :

– لن يرفض أحد الإقدام على عمل الخير و الفوز بالثواب ، لكن كيف ؟

فكر سالم برهة ، ثم أجاب :

– فلنبدأ من هنا .

و صوب إصبع السبابة بيده اليمنى إلى ليلى ، و قال آمراً :

– قومى يا آنسة و اجمعى النقود لأختك المسكينة .

لم تحرك ليلى ساكناً لأن وجهها لم يكن تجاهه ، فطلب سالم من الراكبة الجالسة خلف ليلى أن تجعلها تنظر إليه ، فنفذت الراكبة ما طلبه ، فأعاد سالم على مسمعى ليلى العبارة ذاتها فاستشاط غضب ليلى لكنها تمالكت السيطرة على أعصابها ، و قالت بضيق :

- لن اجمع نقوداً لأحد .

و اعتدلت فى جلستها و أطلت من نافـذة الـسيارة ، فغـضب سالم، و قال لليلى فى احتداد :

- عندما اقول لك أنهضى يا آنسة يجب أن تنهضى فـى الحـال ، المؤمن أخو المؤمن ، اعتبريها أختك ، و سأتعاون معك بنفسى .

استولى الغضب على ليلى ، و قالت باحتداد أشد :

- قلت لك لن أجمع نقوداً لأحد .

قال سالم بثقة و اعتداد :

- أنت غير متعاونة يا آنسة ، أنت غيـر صـالحة للـوطن ، إذن سأجمع أنا النقود .

قالت ليلى :

- لن امنعك .

ازداد غضب سالم ، و غمغم ببضع كلمات مبهمة و هو يـذهب إلى قرب منتصف السيارة ، و وقف فى زهو و خيلاء كأنه طاووس، و قال بلهجة تمثيلية :

- أيتها السيدات .. أيها السادة ، أين ذهبت الرحمة من قلـوبكم ؟! أين أخفيتم مشاعركم الإنسانية التى يتميز بها الإنسان دونـاً عـن سائر المخلوقات ؟! هل سولت لكم نفوسكم أن تتركوا سيدة مسكينة تبكى على ما فقدت ؟!

ثم تفرس فى وجوه الركاب ليعرف أثر حديثه عليهم و أشار بيمناه تجاه عنايات و استطرد:

- إن هذه السيدة أيها الأعزاء فقدت شيئاً زهيداً .. يقدر بعدة جنيهات لا قيمة لها كثيراً ، إن النقود تاتى و تذهب و المعروف يظل أثره باقياً لا يضيع ، هلم بنا أيها السادة الأفاضل ذوى القلوب الرحيمة ، سوف يجود كل منكم بما يستطيع أن يجود به من مال ، و ينبغى أن يفعل ذلك عن طيب خاطر رحمة بهذه السيدة المسكينة التى لا سند لها فى هذه الحياة، لا تغرنكم الحياة الدنيا،لا تنسوا أنكم يجب أن ترحموا من فى الأرض ليرحمكم من فى السماء

تفرس سالم فى وجوه الركاب مرة-أخرى ، و اطمأن إلى أن حديثه قابل آذاناً مصغية لدى الكثيرين ، فذهب إلى نهاية السيارة بسرعة ووقف برهة يفكر ، ثم أخرج من جيب سرواله حقيبة من النايلون ، و ذهب إلى الشخص الجالس على آخر مقعد ، و مد له يديه و بها الحقيبة ، وضع الرجل قطعة من النقود فى الحقيبة ، فدعا له سالم بأن يرزقه الله من فضله رزقاً واسعاً ، و انتقل إلى الراكب التالى كأنه نحلة دؤوب تنتقل من زهرة إلى زهرة لتجمع الرحيق ، و استمر سالم على هذا النحو إلى أن وصل إلى مقدمة السيارة ، ثم نظر إلى الحقيبة بتأمل و ألفاها ممتلئة بالنقود ، و لاح الارتياح على وجهه ، و فكر لحظة ، ثم رفع الحقيبة لأعلى ليراها جميع الركاب ، و قال :

- ها هى النقود أيها السادة الكرام .

و سرعان ما أصبحت هذه الحقيبة ملتقى أنظار الغالبية العظمى من الركاب ، ثم ناولها لعنايات ، و قال :

- يجب أن تحافظى على ما لديك .

و أشار بيده اليمنى إلى الحقيبة ، و أردف :

- لأن هذا لن يتكرر مرة أخرى .

- هو كذلك ، شكراً لك ، و شكراً للسادة الركاب الذين يحبون فعل الخير .

و فى الحال تبددت مشاعر الحزن و الضيق التى علت وجه عنايات ، و حلت محلها مشاعر الفرح و السرور ، فابتسمت و دعت لسالم بأن يرزقه الله من حيث لم يحتسب ، و بينما استدار سالم ليعود إلى حيث أتى ، وضعت عنايات حقيبة النقود داخل الحقيبة القابعة إلى جوار قدميها، و اعتدلت فى جلستها ، و نظرت من خلال النافذة إلى الطريق .

بعد قليل وقفت السيارة فى محطة الخازندار بشارع شبرا ، وهبط منها عدد كبير من الركاب من بينهم عنايات و سالم و مصيلحى .

بعد فترة وجيزة ، وقف سالم على الطوار الأيمن بشارع دنشواى و بيده سيجارة أخذ ينفث دخانها فى صمت و سهوم ، بينما

سارت عنايات نحوه بتمهل ، و الحقيبة بيدها اليمنى إلى أن وصلت إلى سالم .

تناولت عنايات حقيبة النقود من الحقيبة الأخرى في لمح البصر، و أعطتها لسالم ، عندئذ صك أذنيها صوت شخص خلفها يقول في سخرية و تهكم :

– هكذا الأمر إذن ، استغفلتما الجميع ، لكن .. لن يحدث هذا مطلقاً.

نظر الاثنان ناحية الصوت في دهشة و تعجب ، إذ لم يدر لهما ذلك في حسبان لأنهما انتظرا إلى أن انصرف جميع الركاب ، و من ثم أحس سالم و عنايات بالاضطراب لحظة ، و سرعان ما تمالكا رباطة جأشهما ، و قال سالم في دفاع :

– ماذا قلت أيها الرجل ؟! لقد سألت السيدة عن مكان مستشفى الساحل .

قال الرجل بسخرية :

– حقاً .. إن هذا صحيح ، و هذه تمثيلية أخرى ، أجل ، لا يوجد ما يمنع ذلك .

نظر الرجل إلى عنايات و قد حرصت أشد الحرص على ألا تقع عيناه على وجهها ، لذا احتال الرجل ليرى وجهها وعرفها في الحال، فتجهم وجهه و قال :

– ألست السيدة التى وقفت أمس على رصيف بمحطة رمسيس تبكى لأنها أرادت أن تسافر إلى أسرتها بأسوان ، و لم تجد ثمن التـذكرة لأن كيس نقودها سرق ، وقد تطوع مواطن لجمع ثمن التذكرة ؟

أجابت عنايات :

– لا لست أنا ،إنى لا أعرف اين يوجد باب محطة السكك الحديدية ، و لا أقارب لى بأسوان .

قال الرجل فى عدم تصديق :

– كيف هذا ؟ أنا موقن بأنك هى ، فى ذلك الوقت كنت واقفاًلأوصل ابنى المرشد السياحى المسافر إلى أسوان ، إنها لـم تـصعد إلـى القطار ، لقد دفعنى إلى ذلك حب الاستطلاع .

مصمصت عنايات بشفتيها فى تعجب ، و قالت :

– حكم ، كله إلا هذا ، هذا بلاء العصر ، اللهم اكفنا شـر الـبلاء ، لسنا فى ميدان الأوبرا أو العتبة الخضراء لكى يحدث ذلك .

و سارت عنايات فى طريقها ، و انبعثت من فم سـالم ضـحكة عالية جلجلت أصداؤها فى أرجاء المكان و جذبت انتبـاه المـارة ، وقال و هو يضرب كفا أخرى :

– لا حول و لا قوة إلا بالله ، سبحانك يا رب ، ماذا حدث للناس ؟

و انصرف إلى حال سبيله و هو يغمغم فى دهشة و تعجب .

صورة في إطار

صورة فى إطار

فى صباح يوم مشرق بديع ، و لم تكن الساعة تجاوزت التاسعة بعدة دقائق ، غادر صبحى مسكنه فى ضيق بالغ ، و سار فى شارع غير ممهد يقع فى منطقة حديثة لم تمتد إليها يد العمران، ومن ثم كاد الطريق يخلو من المارة مثلما هو كاد يخلو من الأبنية .

ذهب صبحى إلى المحطة ليستقل سيارة هيئة النقل العام الذاهبة إلى الزمالك ، و عندما بلغت السيارة شارع "ابو الفدا" هبط صبحى من السيارة ، و سار يتأمل واجهات المحال التجارية إلى أن صار على مقربة من العمارة رقم ٥ ، فذلف من الباب ، و سار فى الفناء، و وقف أمام باب حجرة صغيرة ، و طرق الباب .

فتح مغاورى الباب ، و رأى صبحى خلفه ، فصافحه فى ترحاب و اقتاده إلى داخل الحجرة ، و أشار تجاه المقعد و دعا صبحى إلى الجلوس ، و جلس قبالته على الأريكة ، ثم نادى :

– يا صفية ، يا أم مدحت .

خرجت صفية من وراء ستار يفصل الحجـرة إلـى قـسمين ، وذهبت إلى مغاورى ، و صافحت الضيف بترحيب ، و قامت بتقديم واجب الضيافة ، ثم عادت إلى حيـث أتـت ، و تركـت الـرجلين يتجاذبان أطراف الحديث فى ود .

بعد قليل سمع الرجلان صوت بوق سيارة واقفة فـى الـشارع خارج باب العمارة ، فنهض مغاورى بسرعة و كاد يهرول فى سيره متجهاً نحو باب الحجرة .

أصغى صبحى برهة إلى حديث دار بين مغاورى و المهنـدس نبيل قائد السيارة ، ثم تفاقم فى نفسه الشعور بحب الاستطلاع فغادر الحجرة و سار فى الفناء ، و صك أذنيه صوت وقع خطى نـسائية تهبط الدرج بانتظام و تمهل ، كأنها مصاحبة لنغمات آلة موسيقية .

وقف صبحى عند باب العمارة يصغى إلى الحديث الـدائر بـين الرجلين ، قال المهندس نبيل بلهجة آمرة :

– بعدِ قليل تذهب إلى شقتى الجديدة ، و تعاون أمى و أم الـدكتورة هويدا فيما تحتاجان إليه .

قال مغاورى :

– أنا رهن إشارة السيدتين ، أرجو أن نفرح قريباً بزواجكما .

قال نبيل :

– شكراً لك يا مغاورى ، و أرجو أن نفرح بأبنائك .

نظر نبيل إلى باب العمارة و رأى صبحى ينظر إليهما كأنه يراقبهما ، فتجهم وجهه قليلاً ، و أومأبرأسه بخفة تجاه صبحى و تساءل بصوت خفيض :

- من الواقف هناك ؟

نظر مغاورى فى الاتجاه الذى أشار نحوه نبيل ، و رأى صبحى، فهمس قائلاً :

- قريبى صبحى أتى لزيارتى .

قال نبيل فى شىء من الضيق :

- أخشى أن يعوقك عن العمل .

قال مغاورى :

- سيذهب بعد قليل .

حدس صبحى أن حديثهما دار حوله ، فأطرق برأسه فى شىء من الخجل ، فذهب إلى الجانب الآخر من الشارع و سار مبتعداً .

قال مغاورى ناظراً إلى الفناء حيث سارت هويدا :

- وصلت الدكتورة هويدا .

نظر نبيل إلى الفناء باهتمام و لاح السرور على وجهه ، و كانت هويدا على قيد خطوات من باب العمارة ، فابتسم نبيل و جاهد ليخفى ابتسامته و هو فى طريقه إلى السيارة ، و تبعه مغاورى ليتم ما بقى من حديث .

بعد لحظات سار صبحى على الجانب الآخر من الشارع متجهاً صوب باب العمارة .

وقفت هويدا برهة عند باب العمارة ، و نظرت إلى الشارع باستطلاع إلى أن توقفت عيناها على نبيل ، و كان جالساً وراء عجلة القيادة ، فاتجهت إليه فى حياء و دلال ، بينما وقف صبحى ينظر إليها كالمشدوه ، و قد خيل إليه أنه يشاهد صورة رائعة لفتاة جميلة تحولت إلى كائن بشري يعتبر آية فى الرقة و الجمال ، و تعلقت عيناه بها ، وظل يتابعها بناظريه إلى أن ركبت السيارة وانطلقت بها .

و استدار صبحى ليذهب إلى باب العمارة ، و اصطدم بتامر أثناء سيره ، فاضطرب و كاد يسقط لولا أن تامر ساعده على أن يحفظ توازنه ، و أطلق ضحكة ماجنة جذبت انتباه مغاورى ، و كان يسير على مقربة من باب العمارة ، فنظر إلى تامر فى شىء من الاستهجان ، و استمر فى سيره بضع خطوات ثم توقف .

تساءل تامر :

- هل أعجبتك ؟

لاحت الدهشة على وجه صبحى و تساءل :

- من ؟

أجاب تامر بلهجة ذات معنى خاص :

- الفتاة طبعاً ، هل يوجد غيرها ؟!

أطرق صبحى برأسه فى ضيق و لم يجب .

لاح الضيق على وجه تامر ، و لكن قال:

– لقد سألتك فأجب .

امتزجت الدهشة بالغضب فى صدر صبحى ، و قال :

– أجل ، أعجبتنى ، و خلبت لبى ، ماذا تستطيع أن تفعل ؟!

أطلق تامر ضحكة عالية تردد رنينها فى أرجاء المكان ، و قال :

– سوف ترى .

و لاذ بالصمت لحظة ، تفرس خلالها فى وجه صبحى ، و فكر لحظة ، ثم لاحت الجدية على وجهه ، و قال بثقة و اعتداد :

– من الممكن أن تصبح ملكك و طوع يمينك قبل مرور أربع و عشرين ساعة إذا أردت .

لاحت الدهشة و التعجب على وجه صبحى ، و استدار ليذهب إلى مغاورى الذى ما زال واقفاً ينتظره ، لكن تامر قبض على ذراع صبحى بقبضة من حديد ، جعلت صبحى يتسمر فى مكانه فى غضب، فبذل جهداً مضنيا ليسيطر على أعصابه ، و جذب ذراعه فأفلت تامر ذراعه ، و قال متصنعاً الرقة و الحنان :

– إننى أحبك و أحس بالغيرة على مصلحتك .

– شكراً لك ، لا داعى لأن تشغل بما ليس من شأنك.

قال تامر كأنه يسدى إلى صبحى النصيحة :

- أنت فى مقام أخى و الفتاة قريبتى .. ثرية و متعلمة و جميلـــة ، إننى أفضلك على هذا الشاب المخنث المتأنق الذى تريد أن تتزوجه ، و .... و .....

قاطعه صبحى قائلاً :

- لا شأن لك بى أو بالفتاة ، هذه الفتاة أرى أنها محض صورة فتاة جميلة فى لوحة رسمها فنان، و لا يراودنى الأمل أبداً فى أن أتحدث إليها .

-أنت يا صديقى لا تعرف قدر نفسك ، و هذا خطــأ فــاحش ، و لا تدرى ما يمكننى أن أفعل من أجلك ، فقط اصدر اشارة و سترى .

استغرق صبحى فى التفكير ، و سعى تامر إلى إغرائه إلـــى أن وافق ، و دار بينهما الحديث برهة ، ثم افترقا على موعد للقاء ، و كان مغاورى واقفاً ينتظر صبحى على أحر من الجمـــر ، و ابتـــسم عندما أبصره سائراً نحوه ليحثه على أن يذهب إليه ،غير أن صبحى انطلق ذاهباً إلى حال سبيله و هو لا يلوى على شىء .

فأمعن مغاورى التفكير لحظة ، ثم اتـــصل بـــصبحى بالهـــاتف المحمول ، و لم يتلق إجابة ، و أخيراً قر رأيه على أن يبعث إليـــه رسالة كتب فيها :"انتظرتك و لم تحضر ، لعل المانع خيراً ."

قريبك مغاورى

و عاد مغاورى إلى العمارة ، و شغل بأداء أعماله ، و قد ساعدته زوجته .

فى اليوم التالى ، كانت الشمس قد آذنت بالمغيب عندما وصل صبحى إلى العنوان الذى حدده تامر فى قصاصة ورق ما زالت قابعة فى جيبه إلى جوار الظرف الذى به النقود ، فوضع صبحى يده على الظرف كأنه يلمس تعويذة ، و قد أدرك أن لهذه النقود أثر كبير فى إعادة خلقه من جديد ، فإنه سيصبح رجلاً آخر أكثر رقياً و تحضراً و ثراءا ، عندئذ قفزت إلى صفحة مخيلته صورة رجل الأعمال الشهير صاحب الأرض الذى يقوم بحراستها ، و أفاق صبحى من تخيلاته على صوت تامر يقول :

- جئت فى الموعد تماماً.

- إنني لا أستطيع التأخير .

ابتسم تامر ابتسامة ذات مغزى خاص ، و تساءل :

- هل أحضرت النقود ؟

- نعم .

- أين هى ؟

أعطاه صبحى الظرف فى ضيق كأنه انتزع قطعة من لحمة و أعطاها له ، فنظر تامر إلى الظرف بتمعن و تفكير ، و أخرج قصاصة ورق من جيبه ، و مد يده بالقصاصة إلى صبحى ، و أشار تجاه الورقة ، و قال :

- اذهب إلى هذا العنوان ، و اضغط على زر الجرس ، قف لحظـة إلى أن يفتح الباب ، من يفتح لك الباب قل له ، "الأمانة وصـلت" ، ولا تزد على ذلك شيئاً .

تساءل صبحى :

- ما اسم الشخص الذى سيفتح الباب ؟

لم يرد تامر ، فتساءل صبحى :

- ما عمله ؟

لم يجب تامر ، فتساءل صبحى فى دهشة :

- ما هيئته ؟

لم يجب تامر و لاح الضيق على وجهه ، و قال باقتضاب :

- لا تسـلنى ، إنك سوف تجد الردود على أسئلتك لدى من يفتح لك الباب ، صحبتك السلامة .

و قبل أن يرد صبحى كان تامر قد سار مبتعداً كأنه لا يعرفه .

.وصل صبحى إلى المكان الذى وصف له و بدأ فى القيام بتنفيذ ما طلب منه فى قلق و توجس و حذر ، فصعد الدرج المؤدى إلـى الشقة ، و ضغط على زر جرس الباب ، فتح الباب شاب رقيق حسن المظهر ، سأله صبحى عن اسمه ، فأجاب بأنـه يـدعى عـاطف ، وعرفه صبحى بنفسه فصافحه الشاب فى ترحيب ، ورافقه إلى داخل الشقة ، و اقتاده إلى حجرة استقبال تشى بما عليه سكان الشقة من ذوق و ثراء ، و أشار عاطف تجاه مقعد ، و قال :

- اجلس .

- شكراً لك .

جلس صبحى على مقعد و جلس عاطف على المقعد المقابل ، و تجاذب الرجلان أطراف الحديث برهة ، ثم نهض عاطف قائماً وقال:

- بإذنك .

و ذهب إلى الشرفة ، و أطل منها على الشارع ، و نظر إلى رجل واقف بالشارع ينظر إليه، وهز رأسه بخفة بحيث لا يكاد يبين، و عاد إلى مكانه و استأنف الحديث .

قطع جرس هاتف عاطف المحمول حبل الحديث ، و رد عاطف على المكالمة ، عندئذ اكتسى وجهه بغلالة رقيقة من الكآبة ، وأجاب : - أمرك يا باشا ، إنني سأحتجزه

أنهى عاطف المكالمة و استغرق في التفكير لحظة ، ثم قال لصبحي :

- إنك سوف تنتظر هنا إلى أن يأتى الصديق الذى سوف يصحبك إلى الفتاة .

أثار حديث عاطف المزيد من المخاوف و الهواجس فى نفس صبحى ، ففكر لحظة ، ثم سأله عن الشخص الذى سيصطحبه ، و موعد وصوله .

لم يجب عاطف ، و عندما ألحف صبحى فى السؤال ، لاح الضيق على وجه عاطف ، و قال باحتداد :

- انتظر و كفى ، قلت لك انتظر .

و رشق صبحى بنظرة جعلت صبحى يشعر كأنها اخترقت عينيه بمثقاب بلغ الناحية الأخرى من الجمجمة و نفذ منها إلى الخـــارج ، فاقشعر بدن صبحى ، و سرت رجفة فى أوصـــاله ، و دار الحــديث بين عاطف و صبحى من جديد ، و على الرغم من أن عاطف فـــى حديثه كان أكثر رقة و لطفاً ، غير أن صبحى قد انتابه الإحـــساس بأن هناك مؤامرة لا يدرى كنهها تحاك خيوطها حولـــه، فتفاقمـــت مخاوفه ، و فكر فيما يجب أن يفعل .

و هداه تفكيره إلى أنه يجب أن يولى الفـــرار قبـــل أن تكتمـــل خيوط المؤامرة ، و يجد نفسه متورطاً فى مـــأزق ربمـــا لا يمكنـــه الفكاك منه ، فتظاهر بأنه يبحث عن شىء فى جيوبـــه ، و نهـــض قائماً و قال و هو يهرول ذاهباً إلى الباب :

- ربما تكون علبة سجائرى سقطت على الدرج ،سأحضرها وأعود.

مد عاطف يده اليمنى يعترض بها طريق صبحى و بها شـــىء ما خيل إلى صبحى إنه ميدالية من نوع خاص ، لكنه لم يعبأ بها و أسرع يهرول إلى الباب الخارجى ، و هبط الدرج ، و ما أن وصـــل إلى الشارع حتى أطلق ساقيه للريح كأنه فى سباق للجرى ، و لـــم يلق بالاً إلى النداءات المتكررة التى سمعها تطير فى الهواء ترجوه بأن يعود .

شأن من الماضي

شأن من الماضى

كادت الشمس تتوسط كبد السماء عندما جلس محسن و صديقه كمال حول المنضدة أسفل شجرة توت فى حديقة فيلا الأخير ، وأخذا يتباحثان فى بنود عقد شركة الألكترونيات التى اتفقا على إنشائها ، و ما لبث أن قطع حبل حديثهما صوت رجل ينادى فى الشارع :

- يا أيمن .... يا جملات .

أصغى محسن إلى الصوت لحظة ، تكرر النداء بصوت أكثر ارتفاعاً يوحى بأن صاحبه صار أكثر اقتراباً من فيلا كمال .

استولى على محسن الإحساس بأنه على معرفة بصاحب هذا الصوت الشجى الذى كاد يقطر حزناً و ألماً ، و أخذ محسن يعتصر ذهنه فى التفكير فى أمر صاحب الصوت ، ثم سأل نفسه : "أين التقيت به يا ترى ؟ و متى ؟ إلخ .. إلخ .. إلخ ، فإذا كان هو بائع الصحف سوف أعطى له خمسة جنيهات بدلاً من الخمسين قرشاً التى كنت مديناً له بها و ذهبت إليه من أجلها مرتين و لم أجده " .

لاحظ كمال أن محسن انصرف كلية عن الحديث معه ، فظن أن محسن كتم فى صدره إحساساً من نوع ما لا يريد الإفصاح عنـــه ، وأشفق أن يكون هذا الإحساس ذو صلة بمشروعهما ، فتساءل :

- ما الخطب يا محسن ؟

أجاب محسن فى بساطته المعهودة :

- شغلت بالتفكير فى الماضى .

ابتسم كمال ، و قال :

- لن أحرمك هذه المتعة يا صديقى ، و اعتبر نفسك فـــى منزلـــك وفكر فى الماضى كما يحلو لك ، و سأنصرف إلى بعض شـــئونى ، وعندما أعود أرجو أن تكون توقفت عن التفكير فى شئون الماضى.

ضحك محسن عالياً ، و قال :

- أنت دائماً هكذا يا كمال .. لا تفوتك فائتة .

ضحك كمال و غادر الحديقة تاركاً محسن يفكر فـــى صـــاحب الصوت ، و اتجه إلى داخل الفيلا .

بعد لحظات ارتسمت على صفحة ذهن محسن صورة رجل فى مقتبل العمر جالساً على الأرض و أمامه صحف و مجلات بـــسطت بعناية على ملاءة وضعت على رصيف بشارع جاد المولى ، منذ ما يزيد عن ثلاثين عام .

فكر محسن لحظة ، ثم سأل نفسه : "ما هيئتة الآن يا تـــرى ؟ وكيف يعيش ؟ و ماذا آل إليه حاله؟"

بعد فترة قصيرة عاد كمال ، و ذهب إلـى المقعـد و جلـس وابتسم قائلاً :

– أراك مشغولاً ، هل ما زلت تفكر فى الماضى ؟

أجاب محسن :

– أجل ، يبدو أن ثلاثين عام غير ذات قيمة كبيرة فى عمر الزمان .

ابتسم كمال و أشار بيمناه ناحية الأوراق ، و قال :

– هذا أهم .

و شغل الصديقان بالحديث عن المشروع ، غير أنه لم تمض إلا دقائق معدودات ، و بلغ مسمعى محسن صوت النداء مرة أخـرى ، فارتسمت على صفحة ذهن محسن صورة الرجل و هو فى مقتبـل العمر و بجواره زوجة شابة جميلة ، و برفقتهماصبى وصبية فـى مثل عمر الزهور هما ابنهما أيمن و ابنتهما جملات ، و كان محسن آنذاك طالباً بكلية الهندسة ، و فى بعض الأحيان كان يبتاع الكتـب ويدفع له ما معه من نقود و يؤجل دفع الباقي ، عندئذ تمنى محسن أن يذهب إلى الرجل ، و أن يصافحه و حاول أن يتذكر اسمه و لـم يستطع ، فنظر إلى كمال و ابتسم و تساءل :

– هل تذكر اسم بائع الصحف الذى كنت أبتاع منه الصحف و الكتب قبل أن نلتحق بالجامعة ؟

هز كمال رأسه بالنفي فى دهشة ، و قال :

– هذا أمرٌ عجيب ، أهذا ما تفكر فيه الآن يا محسن ؟

- أجل .

فكر كمال لحظة ، ثم قال :

- أعتقد أن اسمه صابر ، آه ... فاضل .

- فاضل .. حقاً .. كنا نقول له "يا عم فاضل."

ابتسم كمال و قال بسخرية :

- أخشى أن يصبح شريكاً لنا فى المشروع .

ابتسم محسن و قال :

- ليس إلى هذا الحد ، تذكرت فقط إنني كنت أبتاع منه سلسلة كتب التفوق حتى إذا كنت لا أملك نقوداً .

قال كمال كأنه ينصحه :

- لا جدوى من التفكير فى الماضي ، كفى أنك كنت الرابع على الجمهورية فى الثانوية العامة و أنك تخرجت من كلية الهندسة بتقدير امتياز .

ساد الصمت لحظة ، ثم تساءل محسن :

- ألم ترَ أحداً منهم فى مكانٍ ما ؟

أجاب كمال :

- لا ، لم أرهم منذ أعوام كثيرة .

ثم ابتلع ريقه ، و أردف :

- إذا كانوا يستأثرون بتفكيرك إلى هذا الحد .. سأدع لك فسحة من الوقت و أذهب للعمل بالحديقة .

- سأعاونك .

نهض كمال و محسن و سارا متجهين إلى كوخٍ صغير ، وعندما اقتربا من الباب ، قال كمال :

- لا تدخل حتى لا تتسخ ثيابك .

وقف محسن فى مكانه و تابع كمال بناظريه و هو يدلف من الباب ، و يغيب دقائق ، ثم يعود حاملاً مقصين كبيرين ، ناول أحدهما لمحسن ، و قال :

- هيا بنا .

و ذهبا إلى شجرة و شرعا فى القيام بقص الفروع غير المرغوب فيها .

ما لبث محسن أن عاد إلى التفكير فى فاضل و أسرته مرة أخرى ، و تذكر جملات ، فسأل نفسه :"أما زالت جميلة كما كانت؟" و أخذ يتخيل الأماكن التى يحتمل أن تكون قد ذهبت إليها ، كانت جملات فى ذلك الحين فتاة لم تتجاوز الرابعة عشر من عمرها ، جميلة و مهندمة و ذات قوام لدن ، و تسير فى خفة و رشاقة ، ثم رأى محسن هذه الصورة تتلاشى تدريجياً ، و تحل محلها صورة نفس الفتاة بدت كأن عمرها ازداد عشر أعوام عن عمرها الحقيقي، واقفة أمام والديها تبكي فى حرقة و تقول :

- لن أتزوج هذا الشخص .

قالت الأم بإصرار :

- سوف تتزوجينه سواء شئت أم أبيت .

ازدادت الفتاة بكاء و قالت من خلال دموعها :

- إنني لا أطيق أن أرى هذا الشخص يا أمى ، فكيف أتزوج ممن لا أحب ؟!

قالت الأم فى إصرار أشد :

- سوف تتزوجينه رغم أنفك ، إننا نريد هذا و لا شأن لنا بما تريدين .

تساءلت جملات من خلال دموعها :

- و لماذا لا أتزوج ممن أحب ؟

أجابت الأم فى سخرية :

- هذا لا يناسبنا .

أيقظ صوت كمال محسن من شروده ، عندما دعاه كمال إلى الإسراع ،فوافق محسن ووعده بأن يفعل ما طلب ، غير أنه عاد إلى التفكير في فاضل ، فتذكر أنه ذهب إليه ذات يوم لشراء بعض الصحف و المجلات ، و شكا إليه في غضب ما حدث من جملات ، فسعى محسن إلى تهدئته و سأل عن جملات ، فعلم أنها تزوجت ، ثم حصل محسن على شهادة البكالوريوس و تم تعيينه معيداً بكلية الهندسة و تزوج من زميلته و أقام معها في شقة بمدينة نصر، ثم توفى والداه و صار من النادر أن يبتاع الصحف من فاضل ، غير

أنه في الشهور الثلاثة الأخيرة صار يذهب إلى كمال في شارع صائم الدهر كل يومين تقريباً .

بعد قليل تناهى إلى سمع محسن صوت الرجل قادماً من مسافة أبعد و شعر برغبة في أن يلتقي بالرجل و أن يتحدث إليه ، كما أنه أراد أن يطمئن على قدرته على الحدس و التخمين ، و كان محسن و كمال يتحدثان عندما قطع محسن حبل الحديث فجأة ، و تساءل :

– ما هذا النداء الذي يتكرر من حين لآخر يا كمال ؟

أجاب كمال فى تعجب :

– رجل ينادي على شخصين .

تساءل محسن قائلاً :

– هل تعرفه ؟

لاح التعجب و الدهشة على وجه كمال ، و قال :

– ماذا ؟! هل فرضٌ عليَّ أن أعرف كل من ينادي على شخص في الشارع ؟!

و انطلقت من فيه ضحكة تلتها ضحكات أخرى ، فشعر محسن بأنه قد أهين ، و أراد أن يثبت لكمال بالدليل القاطع أنه لم يرتكب جرماً إذا فكر فى شخص ربطته به علاقة قديمة ، فأعاد ذات السؤال بلهجة أكثر جدية ، عندئذ لاحت الجدية على وجه كمال ، و تساءل :

– أأنت جادٌ حقاً ؟

– أجل .

- إنني أسمع هذا النداء من حينٍ إلى آخر ، و لم أفكر قط في أن أعرف شيئاً عن صاحبه .

و فكر لحظة ، ثم تساءل :

- لم سألت عنه ؟

أجاب محسن :

- مجرد حب استطلاع .. ربما الحنين إلى الماضي عندما يتقدم الإنسان في السن ، من الممكن أن تكتسب الأشياء قيمة تفوق كثيراً قيمتها في أوانها .

و استغرق في التفكير لحظة ، ثم نهض و قال :

- بإذنك ، سأعود بعد دقائق .

سأله كمال عن سبب خروجه المفاجئ ، لكن محسن أبى أن يخبره بالحقيقة ، و غادر الفيلا في الحال .

سار محسن على مقربة من الفيلا باحثاً عن الرجل إلى أن وجده في الشارع المجاور واقفاً أمام مقهى يتحدث إلى أحد الزبائن.

نظر محسن إلى الرجل بتأمل و علم في الحال إنه "العم فاضل" بائع الصحف ، وأدرك محسن منذ الوهلة الأولى أن أيدي الزمن اشتدت في قسوتها على هذا الرجل و اعتصرته بقوة ، و تركت على قسمات وجهه تجاعيد و غضون كثيرة تثير الحيرة و التساؤل ، وأثارت في قلب محسن مشاعر الرحمة و الحنان تجاه الرجل .

اندفع محسن إلى فاضل و احتضنه بقوة و حنان و اغرورقت عيناه بالدموع ، في هذه اللحظة لم يدر محسن إذا كانت هذه الدموع ناجمة عن تأثره لمصير الرجل أم دموع ذرفها محسن على الأيام التى خلت .

بدا فاضل كأنه قد تم تنويمه مغناطيسياً من الدهشة و التعجب ، و قد تردد محسن برهة قبل أن يسأله عن أحواله و أحوال الأسرة ، و لاحظ محسن أن وجه فاضل اكتسى بغلالة رقيقة من الحزن ازدادت كثافتها تدريجياً كلما لج محسن في الأسئلة كأن محسن أثار النار الكامنة تحت الرماد إلى أن استعر أوارها .

و عندما صمت محسن لحظة ، تساءل فاضل :

- أود أن أعلم ماذا فعلت بك الأيام طوال الأعوام الماضية .

قص محسن على مسمعي فاضل قصة حياته بإيجاز ، و سر فاضل سروراً بالغاً من جراء ما أحرزه محسن من تقدم ، و انطلق لسانه يدعو الله أن يمنحه المزيد من التقدم و الرقي .

علم محسن أن الصلة بين فاضل و بين أيمن و بين جملات قد انقطعت ، و أنهما اختفيا و لا يريدان أن يعرف الطريق إليهما .

حز ذلك في نفس محسن ، و دعا الله أن يهدي أيمن و جملات إلى سواء السبيل ، ثم دعا فاضل إلى زيارته بمنزله في مدينة نصر، وأعطى له بطاقة بالعنوان ، و ودعه و سار عائداً إلى كمال ، و قد استولى عليه الشعور بالتأثر .

بعد يومين ، كان محسن جالساً يتناول طعام الغداء مع أسرته في الحديقة ، ارتفع رنين جرس الباب الخارجي.

نهض محسن و ذهب إلى الباب و فتحه و رأى فاضل واقفاً خلف الباب ،فصافحه في سرور ، ووقف جانباً ، و قال :

- تفضل .

اجتاز فاضل عتبة الباب ووقف برهة ينتظر محسن ، أغلق محسن الباب ، و اقتاد فاضل إلى الحديقة ، و قال:

- يجب أن تشاركنا طعام الغداء .

قال فاضل :

- أرجو أن تعفيني من ذلك ، لقد سبقتكم .

و نظر إلى الحديقة بتأمل ، و أشار تجاه مقعد ، و قال :

- سأنتظر هناك ، و تفضل سيادتك لتتناول طعام الغداء مع الأسرة ، بإذنك . تفضل

و ذهب فاضل إلى المقعد و جلس بينما عاد محسن إلى المائدة ، وبعد قليل رن جرس الباب الخارجي ، بينما كان محسن جالساً على مقعد بالحديقة يطالع صحيفة ، و فاضل يسير في الحديقة متأملاً الأشجار وأصص الزرع ، أراد محسن أن يذهب إلى الباب ، لكن فاضل استوقفه بإشارة من يده و أسرع نحو الباب .

فتح فاضل الباب ، و رأى خلفه امرأة ريفية حاملة على رأسها سلة مغطاة بقطعة من النسيج ، بدا من مظهرها أنه جبن و زبـد ، قالت المرأة :

- أريد السيدة .

تردد فاضل لحظة ، فنظرت المرأة إليه في ضيق و قالت :

- السلة ثقيلة ، قلت لك أريد السيدة ينبغي إذن أن تنادي عليها .

ازداد تردد فاضل ، فقالت المرأة في ضيق أشد :

- نادي على السيدة بدلاً من أن تقف هكذا كالصنم .

صاح فاضل قائلاً في غضب :

- احفظي لسانك أيتها المرأة بائعة الجبن ، كوني محترمة ، الـسلة ثقيلة ضعيها على الأرض و انتظري إلى أن أنادي على السيد .

وضعت المرأة السلة على الأرض في ضيق و غضب ، و قالت:

- قلت لك نادي السيدة ، إذا كنت تخشى أن أسطو على الباب اغلقه

و مدت يدها إلى الباب ، و جذبته لتغلقه و هي تـضحك فـي سخرية و تهكم ، شعر فاضل بالدهشة و التعجب ، و جذب الباب في الاتجاه المعاكس ليمنعها من أن تغلق الباب ، فلمح أثر جرح قـديم على يدها اليمنى ، فنظر إليه بتأمل ، و نظر إلى وجه المرأة وصاح في انفعال و عدم تصديق :

- جملات ... ابنتي !

نظرت المرأة إليه في دهشة ، و صاحت بالمثل :

- أبي !

و في حركة لا شعورية ارتمت جملات على فاضل ، و أخذت تقبل وجنتيه الضامرتين و قد اغرورقت عيناها بالدموع ، واغرورقت عينا فاضل أيضاً ، و امتزج في صدره الشعور بالفرحة و الدهشة والتعجب و عدم التصديق ، ثم تساءل من خلال دموعه :

- أين أيمن يا جملات ؟

ترددت جملات لحظة ، ثم أجابت :

- توفى منذ أعوام .

تساءل في حزن :

- كيف ؟

بدأت جملات تروي ما حدث له ، بينما أتى محسن إلى المكان ووقف يراقب الموقف عن كثب دون أن ينتبها إليه ، ثم صافح جملات في تأثر بالغ و دعاها إلى أن تدخل إلى الفيلاً .

في مهب الريح

في مهب الريح

كانت سناء جالسة فى حجرة المعيشة بشقتها المطلــة علــى حديقة الأورمان تشاهد حلقة من مسلسل تلفزيــونى يعــرض فــى السابعة مساءً .

و كان ابنها الوحيد حسام جالساً فى زاوية من الحجرة ، يقــوم بتشغيل جهاز الكمبيوتر، ويشاهد موقعاً على الانترنت ، و من حين إلى آخر كان يدور بين سناء و حسام حديث قصير لا يزيد عن بضع كلمات ، ثم يعود كل منهما إلى ما كان فيه .

و لم يكن حسام خلى البال كما ادعى ،إنما لديه ما أثقل صــدره وجعله فى حالة ضيق و كرب ، فاستغرق فى التفكير برهة ، وأغلق جهاز الكمبيوتر ، وقر رأيه على أن يفضى إلى أمه بما يثقل صدره، ويجعله يرزح تحت كاهله ، ولم يكن حسام يريد أن يفــضى إليهــا

بذلك من قبل لأنه اعتقد أن الوقت غير مناسب ، لكن حالياً صار الوقت مناسباً لأن يفضى إليها بما يريد .

جلس حسام إلى جانب أمه ، و شاهد ما بقى من الحلقة ، وعندما انتهت أدارت الأم مؤشر التلفاز لتبحث عن برنامج آخر ، تساءل حسام :

- هل تريدين أن تشاهدى برنامجاً معيناً يا أمى ؟

أجابت الأم بالنفى ، قال حسام برجاء :

- أريد أن أتحدث إليك و أخشى أن تغضبى .

لاحت الدهشة على وجه الأم ، و قالت :

- أغضب ! لماذا ؟

و أغلقت التلفاز و حدجت حسام بنظرة متأملة و تساءلت :

- فيم تريد أن تتحدث ؟

أجاب حسام فى شىء من التردد :

- إننى إن شاء الله بعد أن أتخرج أريد أن أعمل بالمستشفى لدى خالتى .. و أن أتخرج من نفس الجامعة ، و ربما يسعدنى الحظ وأعين في وظيفة معيد مثلها .

قالت سناء فى سهوم :

- وفقك الله يا حسام ، لكن ...

قاطعها حسام متسائلاً :

- لكن ماذا ؟

تساءلت سناء :

- جميع الكليات متساوية ، فلماذا طب القاهرة بالتحديد ؟

أجاب حسام بحماس :

- الأطباءالذين يعملون بهذه المستشفى متخرجين من كليــة طــب القاهرة ، و ولا أريد أن أكون مختلفاً عنهم .

قالت سناء :

- لن تكون مختلفاً عنهم ، مازال الوقت مبكراً للتفكير فى هذا ، فى الوقت الحالى عليك أنتستذكر دروسك جيداً لتحصل علــى مجمــوع كبير فى الثانوية العامة يؤهلك للالتحاق بكلية الطب .

قال حسام بثقة :

- سأحصل يا أمى ، لكن يجب أن أتأهب من الأن .

تساءلت سناء :

- كيف ؟

أجاب حسام :

- لقد نجحت فى الصف الأول الثانوى بتفوق ، وإننى لكــى أحــافظ على هذا التفوق و أزيد عليه يجب أن ألتحــق بمدرســة مناســبة، مدرسة الأزهار قريبة من المسكن ، إننى لا أريد أن أبدد طاقتى فيما لايفيد ، أرجو أن تحققى لى هذا المطلب يا أمى ..من أجل خاطرى .

شعرت سناء باضطراب شديد ، لكنها تمالكت رباطة جأشها ، وقالت :

- ليتك تصرف النظر عن هذا المطلب لأنه سوف ينجم عنه مشكلة نحن فى غنى عنها .

استغرق حسام فى التفكير برهة ، وقر رأيه علــى ألا يــذعن لمشيئة ظروف حياته ، لأنها تجذبه إلى طريق مختلف عن الطريــق الذى يريد أن يسلكه ،إذ يعتقد أنه يجب أن يتم نقله إلــى مدرســة الأزهار لأن ذلك أفضل ، ثم تذكر حسام أباه ، فتساءل : .

- ترى ما موقف أبى إذا عَلم بذلك ؟

أجابت سناء بضيق :

- لا شأن له بنا .

تساءل حسام :

- ألا يريد أن يلتقى بى ؟

- لا أعتقد .

فكر حسام فى أنه يجب أن يصبح طبيبــاً ناجحــاً يــشار إليــه بالبنان، و من ثم قر رأيه على ألا يدع شيئاً أيا كانت أهميته أن يقف حجر عثرة فى سبيل مستقبله ، لذا أخذ يلح على سناء أن تحقق له مطلبه ، و لم يتركها إلا بعد أن حصل على وعد منها بــأن تحقــق طلبه فى أقرب فرصة .

فى صباح اليوم التالى ذهبت سناء إلــى مدرســة الأزهــار ، وقابلت المدير و أخبرته بأنها تريد تحويل ابنها إلى مدرسته فوافق، و أخبرها بما يجب أن تفعل ، فشعرت سناء بــأن الــدنيا لا تكــاد

تسعها من الفرحة ، و بدأت فى القيام بإجراءات التحويل ، و ذهبت إلى المدرسة المقيد بها حسام .

قدمت سناء طلب التحويل إلى مدير المدرسة ، قرأ المدير الطلب بتمعن ، ثم قال :

- ينبغى أن يأتى والد حسام للموافقة على التحويل إلى مدرسة الأزهار .

أحست سناء كأنه طعنها بسكين ، لكنها تمالكت زمام نفسها ، و قالت :

- أنا الحاضنة و أنا التى تقدمت بطلب الالتحاق بهذه المدرسة .

تساءل المدير :

- هل لديك حكم محكمة ؟

أجابت سناء :

- لدى ورقة أمهرها بتوقيعه .

رفض المدير الموافقة على طلب التحويل ، فغادرت الحجرة ووقفت أسفل شجرة بالفناء تفكر و قد استولى عليها الإحساس بالضيق ، و تذكرت سناء أنها تنازلت عن حقه فى النفقة ليوافق صلاح على أن يدعه يقيم معها ، و قد حرص صلاح على أن يجعلها دائماً تتذكر أنه يريد أن يضم حسام إلى حضانته رغم أن ذلك يتعارض مع ظروفه .

غادرت سناء المدرسة فى ضيق ، و سارت فى الطريق المؤدى إلى المترو و قد استغرقت فى التفكير ، ثم خطرت على بالها فكرة، فقر رأيها على أن تنفذها ، فهبطت فى محطة الدقى ، و سارت فى شارع التحرير متجهة صوب شركة الأزياء العصرية ، و كان إحساس ما بداخلها يمنعها من الذهاب أخذ يزداد تدريجياً ، و بلغ ذروته قبل بضع خطوات من الباب ، فوقفت سناء خارج الباب لحظة ريثما تتمالك السيطرة علىٰ أعصابها ، ثم دلفت من الباب مسرعة .

و كان زوجها السابق صلاح جالساً فوق مقعد على مقربة من الباب ، و ما أن لمحها حتى نهض و ذهب إليها ووقف قبالتها ، وقال فى غضب :

– قلت لك من قبل لا تأتى إلى هذا المكان ، من المؤكد أنك تريدى أن تهدمى حياتى .

لاحت الدهشة على وجه سناء ،و تساءلت فى عتاب :

– لماذا ؟

أجاب صلاح :

– إذا علمت زوجتى أنك أتيت ستغضب ، ماذا أقول لها ،هيا اذهبى.

قالت سناء بعناد :

– لن أذهب يا صلاح ، ابنك يريد التحويل إلى مدرسة أخرى و مدير المدرسة يشترط موافقة والد الطالب .

فكر صلاح برهة ، ثم تساءل :

- ما العنوان ؟ إننى نسيته .

- العنوان لم يتغير .

و كانت دلال زوجة صلاح واقفة بقسم الملابس الجاهزة تراقب صلاح و سناء بقلق و توتر ، و قد أخذتها الظنون إلى كل منحـى ، و لعبت بها الهواجس و ألقت بها فى كل اتجاه ، فذهبت إلى سـناء وقد استولى عليها الشعور بالرغبة فى التحـدى ، فوقفـت بجـوار صلاح ، و وضعت راحة يدها على ذراعه ، و نظـرت إلـى سـناء بازدراء ، و قالت :

- لن يعود الماضى بأية حال من الأحوال .

قالت سناء :

- أعرف ذلك .

تساءلت دلال :

- ماذا تريدين من زوجى ؟

استشاط غضب سناء ، لكنها تمالكت رباطة جأشها ، وأجابت :

- أتيت أتحدث إليه فى أمر خاص بابننا حسام .

استشاط غضب دلال ، وقالت :

- أنت تعيريننى لأننى لم أنجب .

قالت سناء :

- أنا لا أعيرك .

ونظرت إلى صلاح و قالت باستعطاف :

- يريد حسام أن ينتقل إلى مدرسة أخرى ، و أصر مدير المدرسة على أن يستيقن من موافقتك على النقل .

غضبت دلال و قالت :

- دعك من الذريعة الواهية هذه ، إنك أردت أن تعيدى المياه إلى مجاريها ، إنك أردت أن تستغلى ابنك لتحقيق مأربك ، لكن هيهات ، إنك تحلمين أيتها السيدة .

قالت سناء كأنها تتحداها :

- إننى لا أحلم . هذه هى الحقيقة .

قالت دلال وهى تكاد تجن من الغيظ :

- أية حقيقة هذه ؟! انطقى أيتها الـ .....

واندفعت دلال إلى سناء تريد أن تجذبها من شعرها ، وأخذت تسب وتلعن ، ووقف صلاح بين المرأتين ليحول بينهما ، وتمادت دلال فى غيها ، فصاح صلاح قائلاً :

- كفى يا دلال ، لا تجعلينى أتهور .

استعرت نيران الغيرة فى صدر دلال ، وقالت فى غضب :

- إنك تدافع عنها لأنك مازلت تحبها .

وصمتت لحظة ريثما تزدرد ريقها ، و قالت فى وعيد :

- لن أسمح بأن يخلو الجو لكما يا صلاح ، لن أسمح لك بأن تهجرنى أو تطلقنى ، هل سمعت ، لن أسمح لك يا صلاح .

و هجمت على صلاح تريد أن تفتك به ، و أنشبت أظفارها الطويلة المزدانة بالمانيكير فى عنقه و صدره ، و حاول صلاح أن يتملص منها دون جدوى ، إذ أحكمت دلال قبضتيها على عنقه بقوة أشد ، رفعت سناء صوتها فطغى على صوتى صلاح و دلال ، وقالت مرة ثانية :

– يريد حسام أن ينتقل إلى مدرسة أخرى ، و مدير المدرسة أصر على أن يستيقن من موافقتك على النقل .

لاذت دلال بالصمت ، و شعرت كأن دلواً كبيراً مملوءاً بالماء البارد سكب على صدرها ، فأخمد النيران التى استعرت به ، وراقبت زوجها دون أن تنبس بحرف واحد ، بينما استغرق صلاح فى التفكير برهة ، و ألقى على كل من المرأتين نظرة متفحصة ثم نظر إلى سناء ، و قال :

– سأفكر فى الأمر .

ازداد غضب سناء ، و جاهدت لكى تسيطر على أعصابها الثائرة ، و تظاهرت باللا مبالاة ، و قالتِ :

– لن يحتاج الأمر إلى تفكير ، عليك أن تذهب إلى المدرسة ، و أن تخبرهم بأنك موافق على تحويل ابنك إلى مدرسة أخرى ، يجب عليك ألا تقف كحجر عثرة فى سبيل مستقبله .

قال صلاح فى تفكير :

– عودى إلى المنزل و سوف يصلك الرد .

- متى ؟

لم يجب صلاح ، أثار هذا مخاوف سناء و هواجسها الكامنـــة فى صدرها ، فألحت على صلاح لتعرف ، فأبى أن يخبرها .

رشقت دلال صلاح بنظرة ذات مغزى خاص ، و أطلقت ضحكة عالية ترددت أصداؤها فى أرجاء المكان ، قالت لسناء فى شماتة :

- قال لك زوجى سوف يصلك الرد ، سيصل إذن .

و أطلقت ضحكة عاليةً أخرى ، و ذهبت إلى صلاح ، و جذبته من ذراعه بحنان و رفق ليذهب معها إلى داخل الشركة ، و قالت :

- هيا بنا يا زوجى العزيز ، لقد أضعنا وقتاً طويلاً .

نظرت سناء إليهما و هما يسيران مبتعدين فى حنق و غـضب شديدين ، ثم غادرت الشركة ، و ذهبت إلى حال سبيلها .

مضى ما يزيد عن أسبوع ، و لم يف صلاح بوعده ، و كانـت كل دقيقة تمضى تجعل سعير نيران القلق الناجم عن الانتظار يـزداد حرقة.و اشتعالاً في صدر سناء و حسام ، و قد بلغ القلق أقصاه في صدر حسام فى يوم ما ، و بعد إمعان تفكير ، قر رأيه على أن يقابل أباه ، و أن يقنعه برأيه إذا كان الأمر فى حاجة إلى إقناع .

لم تستطع سناء أن تثنيه عن عزمه ، و نصحته بـأن يلتـزم جانب الهدوء و الحذر حتى لا يغضب أبوه و يحـدث مـا لا يحمـد عقباه ، و رجته أن يتصل بها فى مكتبها بالشركة التى تعمـل بهـا لتطمئن عليه ، ثم غادرت المنزل و ذهبت إلى عملها فى قلق .

كاد عقربا الساعة أن يشيرا إلى تمام الثانية ظهراً عندما ضاقت سناء بانتظار مكالمة تليفونية من حسام ، فاتصلت به بالهاتف المحمول و لم يجب ، ثم اتصلت به بالهاتف الأرضى و لم يجب أيضاً ، فاستولى عليها الخوف و القلق و تلاعبت بها الظنون والهواجس فى اتجاهات شتى ،و تحيرت سناء و لم تدر ماذا تفعل .

و كان اليوم من سوء الطالع مشحوناً بالعمل ، و فكرت سناء فى أن تتغيب عن عملها بقية اليوم ، لكنها أشفقت من أن تثير غضب رئيسها ، إذ أنها سمعته منذ قليل يقول : "يجب أن ينتهى حساب الميزانية اليوم . لن يترك موظف منكم مكتبه إلا بعد أن ينتهي ." فظلت سناء منكبة على الأوراق لا تلتفت يمنة أو يسرة إلى أن فرغت من حساباتها .

ارتفع رنين جرس التليفون فجأة ، و رفعت سناء السماعة فى لهفة ، ووضعتها على أذنيها بسرعة ، و كان المتحدث حسام ، و قد بادرها قائلاً و هو يبكى :

– صرت مجرماً يا أمى .

اكفهر وجه سناء من وقع المفاجأة ،و سألت حسام عما ألم به، لكنه أعاد السماعة إلى مكانها بقوة جعلت قلبها كاد ينخلع من مكانه ، فاختطفت حقيبتها و غادرت المكتب فى الحال .

و ما أن فتحت باب الشقة حتى دلفت إلى الردهة مسرعة ونادت على حسام و هى تسير متجهة إلى حجرته ، و لم تتلق إجابه ، فازداد وجيب قلبها و هي تهرول إلى باب الحجرة .

كان حسام جالساً على مقعد وراء مكتبه مطرق الرأس ، ولاحت على وجهه آثار الدموع ، نظرت سناء إليه و شعرت كأن يداً قوية تعتصر قلبها ، غير أنها جاهدت لتتمالك زمام نفسها ،و تساءلت :

- لماذا تبكى يا حسام ؟

و عندما لم يجب حسام ، تساءلت فى قلق أشد :

- هل قال لك أبوك شيئاً أثار غضبك ؟

أجاب حسام فى حزن :

- رفض أن يقابلنى .

و تناول ورقة من على المكتب أعطاها لسناء ، و أردف بانكسار:

- أعطانى شخص هذه الورقة .

- ما هى ؟

- فلتقرئيها بنفسك .

جرت عينا سناء على الورقة ، و شحب وجهها حتى كاد يحاكى وجه أحد الموتى ، و صاحت فى رعب شديد:

- غير معقول .

تساءل حسام فى حزن أشد :

- ما معنى هذه الورقة يا أمى ؟

أجابت سناء :

- أبوك رفع دعوى فى المحكمة يطلب فيها أن تقيم معه .

تأشيرة

تأشيرة

كانت حجرة سكرتارية مدير عام إدارة "الفاضل" التعليمية مزدحمة كعادتها بعد كبير من ذوى المطالب من موظفى الإدارة وغيرهم ، ينتظرون أن تسنح لهم فرصة المثول أمام المدير العام ليعرضوا عليه مطالبهم و يفوزوا بالتأشيرة .

وقف عصام مدير توجيه الرياضيات أمام سكرتير المدير العام ، وقال :

- أرجو أن يوقع المدير العام على الطلب .

تجهم وجه السكرتير ، و قال :

- هذه ثالث مرة أقول لك إن سيادة المدير العام معه لجنة من الوزارة .

شعر عصام بضيق و إحباط و تساءل فى نفسه :"ماذا أفعل لكى أحصل على هذه التأشيره على الطلب ؟" و ارتسمت على صفحة

ذهنه صورة مدير شئون العاملين و هو يشير إلى دفتر الحضور و الانصراف ، و تردد فى أذنيه ما فاه به فى الصباح :"صرت لا أراك إلا فى وقت الحضور و الانصراف ."

نفض عصام عن ذهنه هذا التفكير ، و شغل بمراقبة باب حجرة مكتب المدير العام كعادته فى الأسبوعين الماضيين .

بعد قليل أحس عصام بإعياء فتحين الفرصة للجلوس إلى أن عثر على مقعد فجلس ، و أخذ يراقب من يدخلون إلى مكتب المدير العام ، و يفكر فيما فعلوا لكى ينالوا هذا الشرف السامى ، و رغم ذلك تعلقت عيناه بباب الحجرة كأنه غريق يتعلق بطوق النجاة .

و ما لبث المدير العام أن خرج من باب حجرته مسرعاً ، واجتاز حجرة السكرتارية ، و مرق إلى الباب الخارجى ، و قد تعلقت به أنظار الحاضرين فى دهشة و تعجب ، و استولى على كل منهم الشعور بالضآلة و عدم الأهمية ، ورغم ذلك أخفى كل منهم شعوره عن الأخرين و أخذ يفلسف الأمر وفق هواه و ما يحقق أغراضه .

و جلس السكرتير وراء مكتبة يتأهب للانصراف ، فتبادل الحاضرون النظر ، و واتت الجرأة أحدهم فذهب إلى السكرتير وتساءل :

- أين ذهب المدير العام ؟

أجاب السكرتير :

- ذهب إلى المديرية ليحضر اجتماعاً مع مدير المديرية .

تساءل الرجل فى ضيق :

- متى سيعود ؟

أجاب السكرتير فى ضيق :

- يعود وقت ما يعود ، سيعود إلى منزله طبعاً ، سوف ينتهى الاجتماع بعد مواعيد العمل الرسمية ، يجب أن نعود جميعاً إلى منازلنا .

و أخذ يجمع أشياءه من على المكتب ، و يضعها فى الأدراج ، وأردف :

- سأغلق المكتب و أغادر ، إإتوا غداً فى الصباح الباكر .

قال أحد الحاضرين باعتراض :

- و يحدث ما حدث اليوم و أمس ، و ...

قاطعه السكرتير قائلاً :

- الصبر أيها السادة ، لن تطير الدنيا ، و كل شىء فى مكانه ، المدير العام لديه أعمال مهمة و ما لا يتم عمله اليوم يتم عمله غداً.

و كان السكرتير قد انتهى من جمع الأشياء من على المكتب ، فأغلق المكتب بالمفتاح ، و نهض قائماً ، بينما سرى همس بين الحاضرين كشف عما يعتمل فى صدورهم من مشاعر الغضب والضيق ، و بدأوا ينصرفون تباعاً .

على حين غرة ، دلف من باب حجرة السكرتارية رجل مـــا أن لمحه السكرتير حتى اتجه إليه فى اهتمام بالغ وصافحه فى أدب جم، و قال :

- مرحباً يا بهجت بك .

رد موظف الحكم المحلى التحية فى عظمة و شموخ ، و اتجـــه إلى باب حجرة المدير العام ، نظر إلى المكتب و لاح علـــى وجهـــه الضيق ، و نظر إلى السكرتير و هو يومئ تجاه باب حجرة المـــدير العام :

- أين البك ؟

تردد السكرتير لحظة شغل خلالها بالتفكير ، وانبرى عصام قائلاً:

- فى اجتماع مع مدير المديرية .

قال بهجت فى سخرية :

- مدير مديرية ماذا ؟!

و نظر إلى السكرتير و تساءل :

- هل حقاً ؟

تلعثم السكرتير و لم يجب ، فأردف بهجت قائلاً فى لهجة آمرة:

- اتصل به و قل له يأتى حالاً .

و بدا السكرتير كأنه منوم مغناطيسى و هو يطلب الـــرقم فـــي الهاتف المحمول .

نظر ما بقى من الحاضرين إليه فى دهشة تفاقمت بعد دقـائق عندما وقعت أبصارهم على المدير العام و هو يمرق مـن البـاب ، صافح المدير العام بهجت بترحاب شديد ، و اقتاده إلى باب الحجرة، و غابا داخلها ، بينما جلس الحاضرون يحدوهم الأمل فى أن يحظوا باللقاء المنتظر .

بعد فترة وجيزة خرج بهجت من باب حجرة المدير العام وذهب إلى السكرتير ، و قال :

- أريد الطلب الذى أعطيته لك من ثلاثة أيام .

- ليكن .

فتح السكرتير درج المكتب ، و تناول ملفاً به كثير من الطلبات، و بحث عن الطلب ، و كان بهجت يتابع السكرتير بعينيه ، و ما أن مست يد السكرتير الطلب حتى اختطفه بهجت بسرعة كأنـه حـدأة تنقض على فرخ صغير ، و ذهب به إلى المدير العام ، و عاد إلـى حجرة السكرتارية بعد لحظات .

رأى عصام على الطلب تأشيرة المـدير العـام و خـتم الإدارة فكادت الأرض تميد تحت قدميه من شدة الغضب ، و أسـرع خلـف بهجت و لحق به و هو يهبط الدرج و استوقفه و قص على مسمعيه قصته .

أربد وجه بهجت ، و استدار ليصعد الدرج ، و تبعه عصام فى صمت ، و ألفى عصام نفسه واقفاً أمام المدير العام وجهاً لوجـه ، وحذا عدد من الحاضرين حذوة .

و ما أن وقع بصر المدير العام على هذا الجمع حتى ثار ثـورة عارمة ، لكنه بذل جهوداً مضنية لكى يسيطر على أعصابه الثائرة ، وظل مكفهر الوجه برهة ، غير أنه أجاب فى هدوء علـى الأسـئلة التى طرحها عليه بهجت مستفسراً عن حقيقة الموقف ، وقد تحدث المدير العام إلى الحاضرين فى بساطة بددت قسطاً كبيراً مما يـشعر به الحاضرون تجاهه . و اختتم المدير العام حديثه فى لهجة تمثيلية خطابية قائلاً :

- إننى حريص أشد الحرص على أن يظل مكتبـى مفتوحـاً أمـام الجميع و أطول مدة ممكنة ، إننى هنا خـادم لمـوظفى الإدارة و الجمهور و أسعى لتحقيق مصالحهم .

كست الدهشة وجوه الحاضرين ، و نظر المدير العام إلى عصام، و تساءل :

- ماذا تريد يا أستاذ ؟

أخبره عصام بما يريد ، فتساءل المدير العام :

- أين الطلب ؟

أجاب عصام :

- قدمت للسكرتير أكثر من ستة طلبات .

قال المدير العام :

- لم يصلنى أحدها .

و تبادل مع بهجت نظرة ذات مغزى خاص ، ثم نظر إلى عصام و قال بلهجة آمرة !

- احضر الطلب .

هرول عصام مغادراً الحجرة و هو لا يكاد يصدق نفسه ، و حذا الآخرون حذوه ، فبدوا كأنهم أفراد سرية جيش يهجمون على موقع للعدو ، و تبادل المدير العام مع بهجت نظرة ذات مغزى خاص ، وقال :

- ها هو السكرتير .

دعوة

دعوة

غادر أيمن منزله في الصباح الباكر كعادته كل يوم ، وذهب إلى مكتبه بشركة "الإيمان للأدوية و الصناعات الكيماويـــة" ، و جلـــس على المقعد خلف المكتب ، ثم فتح درجاً تناول منه بضع أوراق أخذ يطالعها باهتمام .

بعد قليل بلغ أذنيه وقْع خطوات سائرة في الممر خارج الحجرة، و بحركة لا شعورية نظر أيمن من الباب ، و أبصر زميلـــه ماجـــد يسير في الممر و بيده اليمنى صحيفة يومية تصادف أن أيمن يريد أن يقراها و لم يعثر على نسخة منها لدى البائع الذي في طريقـــه ، لذا ما إن رد على تحية ماجد حتى قال له :

– تفضل يا ماجد لتحتسي معي كوباً من الشاي .

فقال ماجد في شبه اعتذار:

- لن يمكنني ذلك ، لدي عمل أريد أن أؤديه .

مد أيمن يده ليأخذ منه الصحيفة ، و قال :

- دع لي هذه الصحيفة أتصفحها و أعيدها إليك

جذب ماجد الصحيفة من يد أيمن ، و قال :

- لن أستطيع .

فجذبه أيمن من ذراعه برفق تجاه الحجرة ، و قال:

- تفضل يا رجل ، العمل سينتظرك و لن يطير إلى مكتب آخر ، أقسم لك بأنك إذا جلست هنا قليلاً ستذهب إلى مكتبك و تجد الأوراق جميعها على المكتب كما هي بالتمام و الكمال ، إن لم تزد عليها كمية أخرى من الأوراق .

ابتسم ماجد و لم يجب ، و وقف برهة حائراً ، فاقتاده أيمن بسرعة تجاه المكتب ، و حمل مقعداً وضعه بجوار المقعد الذي كان جالساً عليه ، و أومأ إليه بيمناه ليجلس ،

و بعد لحظات كان أيمن و ماجد جالسين يطالعان الصحيفة باهتمام و ساد الحجرة صمت لم يقطعه سوى أن يعلق أحدهما على خبر بكلمة أو كلمتين من حين لآخر ،

بعد قليل ضاق ماجد بالجلسة ، فتململ في مكانه بضيق ، و نهض قائماً ، و قال :

- اسمح لي يا أيمن بأن أذهب .

شعر أيمن بشيء من الضيق ، و تظاهر باللطف و الرقــة ، وقال:

- اجلس يا ماجد و دعْنا نقرأ .

ظل ماجد واقفاً في مكانه كأنه إنسان آلي يتحرك وفق نظــام معين، فأمسك أيمن الصحيفة لا يريد أن يتركها .

لاح شيء من الضيق على وجه ماجد ، و جذب الصحيفة من يد أيمن في رفق و قال :

- لن أبقى ، إنني لدي عمل .

و سار متجهاً إلى الباب ، فلحق به أيمن و استوقفه ، و قال باستدراك :

- تمهل قليلاً يا ماجد ، نسيت أن أضع لك الشاي ، إنني لن أستطيع أن أحتسي الشاي بمفردي .

تعجب ماجد و أخفى تعجبه و سأل زميله عما منعــه مــن أن يحتسي الشاي بالمنزل .

فكر أيمن لحظة فيما يجيب به على سؤال ماجد ، و ارتــسمت على صفحة ذهنه صورة ابنته الصغرى جومانة تبكي بكاءً مريــراً لأنها لا تريد أن تذهب إلى المدرسة ، و حاولت أمها بكافة السبل أن تغريها لتكف عن البكاء ، و أن ترتدي الزي المدرسي لتذهب إلــى المدرسة بمرافقة شقيقتها الكبرى .

نفض أيمن عن ذهنه هذا التفكير ، و قال لماجد :

- اجلس لأصنع لك الشاي .. إنني لا أدري كيف استطعت أن أنسى هذا؟ لقد دعوتك .

و جذب ماجد من ذراعه ليعود إلى مكانه ، فجلس و جلس أيمن وراء مكتبه و عادا إلى مطالعة الصحيفة ، بعد فترة وجيزة ، رفع ماجد عينيه عن الصحيفة و نظر إلى أيمن ، و قال :

- لقد تأخر الشاي

نظر أيمن إليه في دهشة و تعجب ، و تساءل :

- تأخر ماذا ؟

أجاب ماجد في دهشة أشد :

- الشاي .. إنك دعوتني لأحتسي معك الشاي .

لاح على وجه أيمن أنه تذكر شيئاً هاماً ، و قال بنبرات صوت امتزجت بالخجل :

- آه .. حقاً ، ماذا دهاني؟ لقد نسيت لا أدري لم .. يؤسفني ذلك .

قال ماجد :

- لا داعي للأسف ، أنت ستجعلني أتأخر عن العمل ، ينبغي عليَّ أن أذهب .

قال أيمن بإصرار :

- لن تذهب إلا بعد أن تحتسي الشاي .

نهض أيمن و ذهب إلى زاوية من الحجرة بها خوان و نضد صغير، و فتح الخوان و تناول سخاناً كهربائياً وضعه على النضد ،

ثم تناول صينية عليها أكواب وضعها بجوار السخان ، و أمسك الغلاية ، و نظر داخلها متفحصاً بتمعن كأنه يفحص شيئاً دقيقاً باستخدام المجهر ، و تجهم وجهه و قال في خجل :

- متأسف ، الغلاية في حاجة إلى أن تغسل .

و صمت لحظة ثم أردف في تردد :

- إنني إذا ذهبت لكي أغسل الغلاية و أحضر الماء ربما يأتي رئيسي في العمل و لا يجدني ، و ربما يعاقبني .

فكر ماجد برهة ، ثم قال :

- اعطني الغلاية و سأذهب بدلاً منك .

- هل حقاً ؟

- أجل .

- شكراً لك .

أخذ أيمن الصحيفة من ماجد و أعطى له الغلاية ، و ما إن غادر ماجد الحجرة حتى عاد أيمن إلى المقعد و جلس و بدأ يقرأ بعينيه في صمت و سكون .

بعد دقائق عاد ماجد ، و رجاه أيمن أن يضع الغلاية على السخان الكهربي ، فقام ماجد بتنفيذ ما طلب منه ، و عاد إلى مكانه و تناول الصحيفة من أيمن ، و بدأ في القراءة و شاركه أيمن .

و بعد فترة وجيزة نظر أيمن إلـــى الغلايـــة ، و رأى ســـحب الدخان تتصاعد و تتدافع بعضها في إثر الأخرى كأن مضخة هائلـــة تدفعها لتخرج من فوهة الغلاية بقوة هائلة على دفعات متقاربة .

استغرق أيمن في التفكير لحظة ، ثم قال :

– شخص ينادي عليك يا ماجد .

لم يجب ماجد و استمر في القراءة ، فأعـــاد أيمـــن ماقـــال ، فتساءل ماجد دون أن يلتفت إلى أيمن :

– من ؟

فأجاب أيمن كأنه يغريه :

– لا أدري ، ربما يكون شخصاً مهماً ، اذهب إليه لتعرف .

لم يتزحزح ماجد عن مكانه قيد أنملة ، فنظر أيمن إليه و قـــال في رقة مصطنعة :

– أخشى أن يسأل عنك مدير الشركة بسبب عملك المؤجل .

شعر ماجد بالخوف و القلق ، فوضع الصحيفة على المكتب و غادر الحجرة مسرعاً و هو يقول :

– لديك حق .

فذهب أيمن إلى الغلاية ، وصنع لنفسه كوباً من الشاي ،و حمله و عاد به إلى المقعد بسرعة ، و جلس يحتسي الشاي في ســـرور ، بينما ذهب ماجد إلى مكتبه في خوف و قلق ، و بعد أن تبادل التحية مع زملائه ، ذهب إلى مكتبه ، و جلس برهة ، ثم سأل زميلته قائلاً:

- هل رئيس القسم سأل عني؟

أجابت زميلته :

- لا ، لم يسأل عنك أحد .

عندئذٍ نهض ماجد و قال :

- سأذهب إذن ، لقد دعاني أيمن لأحتسي الشاي معه ، و قبلت دعوته .

ابتسمت زميلته ، و قالت :

- تفضل ، بالهناء و الشفاء .

و غادر ماجد الحجرة في الحال ، و ذهب إلى أيمن ، فألفاه جالساً خلف مكتبه يطالع الصحيفة فجلس على المقعد القريب من مقعد أيمن، و قال بثقة :

- ها أنذا أتيت ، أخبرتُ زملائي في الحجرة بأنك دعوتني ، أين الشاي؟

أجاب أيمن في نبرات صوت اقترنت بالضيق :

- سأصنعه حالاً .

و استأنف قراءة المقال بسرعة كأن شخصاً يسرع خلفه و بيده سوط ، و عندما فرغ من القراءة طوى الصحيفة و أعطاها لماجد ، وقال :

- شكراً لك يا ماجد ، أرجو أن تنعم عليّ بالزيارة من حين لآخر.

تساءل ماجد :

- أين الشاي يا أيمن؟

تردد أيمن لحظة ، ثم قال :

- آه .. الشاي .. سوف أصنعه لك .

و ذهب إلى النضد ، و وضع الغلاية على السخان الكهربـــي ، وتناول إناء الشاي و اكتسى وجهه بالضيق ، و قال في خجل :

- ما هذا ؟ أين الشاي الذي كان هنا بالأمس فقط؟

تساءل ماجد في شيء من الانزعاج :

- ماذا حدث؟

أجاب أيمن بضيق :

- لم أجد شاياً بالإناء .

فتح أيمن الخوان و بحث عن الشاي في كل مكـــان ، و هـــو يتمتم :

- سوف أعثر عليه ، لابد أن أعثر عليه ، كان هنا أمـــس ، أيـــن ذهب؟

و لم يعثر أيمن للشاي على أثر ، بينما تناول ماجد الـــصحيفة برفق، و غادر الحجرة في صمت ، و قد اكتسى وجهه بالضيق .

عندئذٍ توقف أيمن عن البحث ، و أعاد كل شيءٍ إلـــى مكانـــه وأغلق الخوان ، و أطلق ضحكة عالية ، ثم عاد إلى مكانه و جلس.

وثيقة

وثيقة

جلس منير و عطيات حول المائدة يتناولان طعام الغداء في صمت يشوبه القلق و التوتر ، وحرص كل منهما على ألا تلتقي عيناه بعيني الآخر خشية أن ينشب بينهما شجار من جديد ، و كان كل منهما حزيناً شاحب الوجه كأنه حمل هموم العالم بأسره ، و أنها اتفقت على أن تجعله يفقد بريق الحياة ورونقها ، و أن يبدو في حالة إعياء و إرهاق شديدين .

بعد لحظات ، اختلس منير نظرة من عطيات ، و ألفاها تمضغ الطعام في سهوم ، و الكآبة تكسو وجهها ، فارتد بصره كسيراً إلى الطعام أمامه ، و استغرق في تفكير عميق ، و ألح على ذهنه هذا التساؤل : "هل من الممكن أن تستنفذ مشاجرة الأمس كل ما لديها من طاقة إلى هذا الحد؟" ثم شغل منير بالتفكير فيما يجب أن يفعل في الفترة القادمة ، و قرّ عزمه على أن يتريث إلى أن تتجه الأحوال إلى السكينة ، على الأخص أنه لم يمض على زواجهما أكثر من شهرين .

بعد فترة وجيزة انطلق في فناء المنزل صوت ساعي البريد ينادي قائلاً :

- بوستة ، السيدة عطيات عبدالحافظ .

نهضت عطيات قائمة ، فمنعها منير بإشارة من يده ،وسار مهرولاً إلى باب الحجرة ، فجلست عطيات و تابعته بناظريها إلى أن غاب عن عينيها ، ثم أصغت بانتباه .

و بعد أن مرت دقائق خالتها عطيات دهوراً ، عاد منير إلى الحجرة، و في يده اليمنى رسالة ، وضعها برفق على المائدة أمام عطيات و ذهب إلى مقعده و جلس و راح يتناول الطعام و يراقب عطيات خلسة و هي تقرأ الرسالة بعينيها في نهم .

كست البشاشة وجه عطيات فجأة ، و حاولت أن تخفي حقيقة شعورها ، فلم تنجح تماماً لذا نهضت وسارت متجهة إلى باب الحجرة، و بلغ أذنيها صوت منير يقول :

- مبارك عليك الجائزة .

توقفت عطيات عن السير ، و نظرت إلى منير في دهشة ، و قالت:

- بارك الله لك ، لكن .. كيف علمت؟

ابتسم منير بتخابث ، و قال :

- علمت و كفى .. هذا سر المهنة .

في هذه اللحظة شعرت عطيات أن كلمات منير تنطوي على السخرية و التهكم ، فاستغرقت في التفكير لحظة ، و حدست أن لابد أن يكون منير قد قرأ الرسالة و علم بمحتواها ، تظاهرت عطيات باللامبالاة ، و استدارت و سارت لتغادر الحجرة ، لكن منير استوقفها مرة أخرى عندما قال في نبرات صوت لا تبين :

- مائة ألف من الجنيهات مبلغ لا يستهان به ، مبلغ يجعل الإنسان يغير نظام حياته رأساً على عقب .

شعرت عطيات كأن عقرباً لدغتها ، لكنها تمالكت زمام نفسها و نظرت إلى منير و قالت في ضيق :

- أجل ، يشتري كل شيء .

اضطرب منير و بدا كمن ضبط متلبساً بارتكاب جريمة شنعاء ، و جاهد لكي يجمع شتات نفسه ، ثم تساءل :

- مثل ماذا؟

أجابت عطيات باحتداد :

- لا داعي يا منير لإثارة الغضب من جديد .. أن يتزوج من حبيبة القلب مثلاً ، أو ...

قاطعها منير قائلاً باحتداد :

- هل مكالمة هاتفية من حاسد أو حاقد تفعل بك كل هذه الأفاعيل؟

وازدرد ريقه و أردف في لهجة تنطوي على العتب و الرجاء:

- لماذا لا يمكنك أن تنسي؟

فكرت عطيات لحظة و قالت :

- أردت أن أذكرك و كفى .

قال منير في شبه استعطاف :

- كل ما أتذكره في الوقت الحالي هو أنني لا أحب سواك .

استولى على عطيات الشعور بأن كلماته لا تصدر عن إحساس صادق ، فاشتد بها الشعور بالغضب ، و بذلت جهوداً مضنية لتسيطر على أعصابها الثائرة ، ثم قالت :

- إن حبيبتك الحقيقية هي نهاد التي قطعت علاقتها بك حالما علمت أنك تورطت في الزواج من فتاة فرضتها عليك ظروف الحياة كما ادعيت يا منير ، هل تعلم ما هي ظروف الحياة يا منير ؟! إنها .. و .. و ..

لم يستطع منير أن يدرك معنى كلمة واحدة مما فاهت به عطيات بعد ذلك ، فقد أصيب بدوار شديد و ألجمت المفاجأة لسانه فتجمد في حلقه ، و عجز منير عن أن ينطق حرفا واحدا فبذل جهد كبيراً ليتمالك رباطة جأشه ، و عندما أتيح له ذلك تساءل :

- ماذا أوحى إليك بذلك يا عطيات؟

لم تجب عطيات ، و غادرت الحجرة في الحال ، فاستولى الضيق على منير و استغرق في التفكير متمنياً أن يعثر على حل مناسب لهذا الموقف ، لكن صوراً من الماضي غير البعيد أخذت تتتابع على صفحة مخيلته كأنها صور في شريط فيلم سينمائي تمثل

ذكرياته مع نهاد ، فاستولى على منير الإحساس بأن أعواماً كثيرة مضت على لقائه الأخير بنهاد ، و تمنى أن يلتقي بها في القريب العاجل و أن يتحدث إليها غير أن منير نفض عن ذهنه هذا التفكير ، و عاد إلى التفكير في مشكلته مع عطيات .

و ما لبث أن هداه تفكيره إلى فكرة صمم على تنفيذها في الحال ، فذهب إلى عطيات ، و كانت بالمطبخ تصب الشاي في فنجان، و قال:

- إن من وشى إليك هذه الوشاية أراد أن يفسد علينا حياتنا و تخيل أنكِ سوف تطلبين ..

قاطعته عطيات قائلة في غضب :

- الطلاق .. أجل .. حتى يتسنى لك أن تذهب إلى من أحببت .

قال منير بإصرار :

- لن يحدث هذا على الإطلاق .

و غمغم بكلمات مبهمة و غادر المطبخ في ضيق و كمد شديدين ، و سار في الردهة متجهاً إلى حجرته .

و في اليوم المحدد لاستلام الجائزة ذهب منير إلى شركة "الحلم الذهبي" ، و تحسس بيده اليمنى التوكيل في جيب سرواله و قد استولى عليه الإحساس بالفرح و السرور لأنه سيتمكن من تحقيق الحلم الذي سعى طويلاً لتحقيقه ، و ما لبث منير أن وقف أمام مكتب الموظف المسئول ، و أعطى الأوراق للموظف و تساءل:

- هل سأتسلم قيمة الجائزة نقداً أم بشيك؟

ابتسم الموظف ، و قال :

- انتظر قليلاً يا حضرة ، الصبر مفتاح الفرج .

غمغم منير بكلمات مبهمة و لاذ بالصمت ، لكنه تابع الموظف بناظريه و هو يبحث عن الاسم في الدفاتر و السجلات دون أن يجده ، ثم لاح الضيق على وجه الموظف ، و قال لمنير :

- انتظرني هنا .

و غادر الحجرة و الأوراق في يده اليمنى ، و عاد بعد دقائق ، وجلس على المقعد وراء مكتبه فى صمت .

استولى على منير الخوف و الجزع ، وتناوبتة الهواجس و المخاوف ، و تذكر أنه فى حاجة ماسة إلى النقود ليدفع مقدم الشقة التى يريد أن يقيم فيها مع نهاد ، فاستجمع منير شتات نفسه و تساءل :

- أين الجائزة ؟

أجاب الموظف وقد بدت عليه الحيرة والسهوم :

- لا توجد جائزة .

شعر منير كأنه صعق ، وتساءل :

- لماذا ؟

أجاب الموظف :

- لقد تم استلام الجائزة ، تسلمتها صاحبتها السيدة إلهام عبدالخالق

صاح منير قائلاً فى غضب شديد :

- مستحيل ... كيف حدث هذا ؟

وحاول أن يبرهن بكافة السبل على أن عطيات هـى صـاحبة الجائزة فلم يستطيع ، فناول منير للموظف الخطابات التى وصـلت إلى عطيات و تتضمن فوزها بالجـائزة ، فلـم يكتـرث الموظـف بالخطابات ولم يجهد نفسه فى قراءة خطاب منها ، وقال :

- كل هذا على عينى و رأسى لكن الكمبيوتر قد اختار .

فشعر منير بأنه وجد بصيصاً من الضياء ينبغى عليـه أن يـسير على هدية ليصل إلى بغيتة ، فقال :

- من الممكن إصلاح الخطأ .

قال الموظف في دفاع :

- لا يوجد خطأ ، ليس لنا يد فيما يفعل الكمبيوتر ، أتمنى لك الفوز بجائزة أكبر في المرة القادمة .

تذكر منير ما بني على هذه الجائزة من آمـال وطموحـات ، و ارتسمت على صفحة خياله تساقطها جميعاً دفعة واحدة ، فاسـتولى عليه الإحساس بأن حياته ضاعت ، و أحس بدوار شديد ، و تـرنح لحظة ثم سقط على الأرض مغشياً عليه .

لقاء

لقاء

في المساء جلست إلى مكتبي بالمنزل ، أكتب مقالاً لـصحيفة "الفجر الجديد" عن التعديلات الدستورية المقترحة .. بعد قليل أخذ ذهني يجول في سراديب نفسي و متاهات حياتي باحثاً عن شيء لم تعرفه هيفاء ، لكني لم أجد .

و على الرغم من أن هيفاء ذات جمال فاتن و أخاذ ، غير أنها لم تكن مدللة أو أنانية أو سجينة لجمالها و أناقتها ، إنما هى فتاة من يلتق بها يشعر أنه عرفها منذ أعوام طويلة . إنني ما كنت أصدق ذلك لو كان شخص آخر قد رواه لى ، لكننى عايشت ذلك خطوة بخطوة ، عندما التقيت بها مصادفة فى محل لبيع الزهور .

بدأت علاقتى بها عندما أردت فى يوم ما أن أبتاع باقة زهر ، وذهبت إلى أقرب محل لبيع الزهور و قابلت هيفاء ، لقد دغدغ حواسى أعذب و أرق صوت نسائى سمعته طيلة حياتى رغم كثرة ما سمعت من أصوات نسائية ، رأيتها واقفة خلف الزهور تزيد الزهورجمالاً و روعة ، قلت لها :

- أريد باقة زهر .

تساءلت هيفاء :

- لمن ستقدمها ؟

أجبت و انا أكاد أكون مسلوب الإ رادة :

- سأقدمها هدية لصديق مريض بمناسبة شفائه و خروجه من المستشفى بعد أن أجريت له عملية جراحية خطيرة .

لاح التأثر على وجه هيفاء ، وقالت:

- حمداً لله على سلامته .

وفكرت لحظة ثم تساءلت :

- و كيف حاله الآن ؟

تعجبت فى نفسى ، وأجبت :

- أفضل كثير .

وكنت أوشك أن أسألها إذا كانت تعرفه أم لا ، لكننى عـدلت عن ذلك، و بلغ أذنى صوتها يتساءل :

- هل تريد زهوراً من اصناف بعينها ؟

أجبت قائلاً :

- أرجو أن تختاري لي الزهور المناسبة .

أطلقت هيفاء ضحكة رقيقة أحسست انها أقرب إلى أن تكـون جزءاً من مقطوعة موسيقية ، فضحكت بدورى قائلاً :

- يوجد هنا أجمل ثنائي على وجه الأرض ، الزهور و الموسيقى .

ضحكت هيفاء مرة اخرة ، و قالت :

- أنت شاعر إذن .

ابتسمت وقلت فى مجاملة :

- منذ رأيتك أصبحتُ شاعراً .

عندئذ لاحت الجدية على وجهها ، وقالت :

- يبدو أنني ينبغي عليّ أن أعدّ باقة الزهر قبل أن تصبح شيئا آخر .

وشغلت هيفاء باختيار الزهور التى سوف تتكون منها الباقة ، وجعلتنى أدرك أن الزهور علم يحتاج إلى درايـة ومـران و ذوق سليم، الأمر يحتاج فى المقام الأول إلى معرفـة أنـواع الزهـور و خصائصها ، و تعلمت منها أن كل مناسبة تحتاج إلى أنواع معينـة

من الزهور ، بل علمت أيضاً أن الزهور ذات صلة بفصول العام ، و علمتني أن هذا جميعه يرتبط ارتباطاً وثيقاً بذوق كل من البائع و المشتري ، و قد جعلتني أحفظ أسماء الزهور من كثرة ما ذكرتها على مسمعي و أنا أشتريها منها ، فكانت تضع زهرة الجلاد يولاس إلى جانب زهرة القرنفل مثلاً أو البنفسج لتعرف أيهما أجمل في نظري ، و تتحدث إليّ لتعرف ما أريد ، بينما شغلت بالتفكير في هذا النموذج النسائي الرائع .

لقد أحسست أنني سأكون قد تجنيت عليها إذا قلت إنها جميلة، وحاولت أن تنطبق عليها مقاييس الجمال ، إذ لم يكن جمالها يثير في نفسي الإحساس بقوة الجمال و سطوته و طغيانه على نفوس البشر ، إنما يمكنني أن أقول إنه جمال من نوع خاص جمال أقل ما يوصف به إنه يميل إلى الهدوء و يشف عما يخفيه ، فيكشف صفاء نفس صاحبته و نقائها و طهرها ، عيناها الزرقاوان الصافيتان تشف زرقتهما الباهتة عن حزن عميق يكمن في نفسها و يجعل الرائي يعتقد أن زرقة عينيها تخفيان أحزاناً دفينة مثلما تخفي زرقة مياه البحر ما يوجد داخلها من كائنات و غيرها .

و أنا في تأملاتي هذه سألت هيفاء :

– هل أتممت دراستك؟

أجابت وهى تضم زهرة إلى الزهور التى سوف تتكون منها الباقة :

- لا .. إنني طالبة بالسنة النهائية بكلية الفنون الجميلة .

سألتها :

- هل التحقت بهذه الكلية بسبب عشق الجمال؟

أجابت :

- إنني أعشق الجمال ، و أراه في كل ما يحيط بي .

شعرت بالدهشة و التعجب ، ووجدت نفسى أسألها :

- ألا يعوقك العمل عن الدراسة؟

فكرت هيفاء لحظة ، ثم أجابت :

- العمل شيء لابد منه .

و ألفيت نفسى أفكر فى أحوالها كأننى أخطط لمستقبل إحدى قريباتى أو ابنتى مثلاً ، و سألتها :

- ما هي ظروف حياتك ؟

أجابت هيفاء فى بساطة متناهية :

- ظروف حياتي بسيطة ، أبي متوفي و أقيم مع أمي ، هي صاحبة محل الزهور ، لدي شقيقة متزوجة من أستاذ بالجامعة تقيم بالأسكندرية ، ذهبت أمي لزيارتها ، و ستعود بعد ثلاثة أيام .

وساد الصمت برهة راقبت خلالها هيفاء و هى تحاول التوفيق بين الزهور التى ستصنع منها باقة مناسبة حيث التآلف بين الألوان والنوع و الأطوال ، و ألفيت نفسى أفكر فى هيفاء كموظفة و ربة منزل، فسألتها :

- أنت يا هيفاء شابة في بداية حياتك العملية ، إنني أتنبأ لك بمستقبل باهر ، أرجو أن تحدثيني عن أحلامك .. في العمل .. و في الحياة بصفة عامة .

ابتسمت هيفاء و أجابت :

- أريد أن أكون رسامة ، أرسم بريشتي ما يروق لي ، أريد أن أكون متفوقة في كل شيء . أتزوج من شاب مكافح مثلي ، يحبني و أحبه . أن يكون كلانا يعشق الحياة ، و لا أريد أن يكدر صفو حياتنا شيء . لقد وهب الله للإنسان الأرض و ماعليها . و كل ما عليه أن يستمتع الإنسان بما وهبه الله له .

ثم فرغت هيفاء من إعداد باقة الزهور ، و أخذت تلفها بالسيلوفان و الورق الملون عندما سألتني :

- ما عملك؟

أجبت:

- أنا صحفي .. مالك جريدة "الفجر الجديد" . ١

انتهت هيفاء من وضع اللمسات الجمالية الأخيرة على باقة الزهر بطريقة أضفت عليها المزيد من الجمال و الروعة والبهاء ، ثم حملت الباقة و وقفت تتأملها باهتمام كأنها لا تريد أن تعطيها لي حتى لا أغادر المحل ، ثم تساءلت :

- ما اسم سيادتك و عنوانك ، و ما اسم و عنوان صديق سيادتك ؟

ناولتها ورقة بالبيانات التي تريد، كنت قد أعددتها مسبقاً ، و أخرجت من حافظة نقودي ورقة من ذات المائة جنيه ، فحاولت هيفاء أن تعيد إليَّ النقود ، لكنني رفضت بإصرار ، فأعادت إليّ باقي النقود و صافحتها و غادرتُ المحل .

بعد مضيّ ما يزيد عن شهر كنت في حاجة إلى شراء ثلاث باقات زهر أضعها في القاعة التي أقيم فيها الاحتفال بمرور ربع قرن على إصدار الصحيفة ، فقُدْتُ سيارتي ذاهباً إلى المحل يحدوني الأمل في أن أقابل هيفاء ، و قرَّ رأيي على أن أوطد علاقتي بها ، و أضمرت في نفسي الرغبة في أن تعمل بالصحيفة ، إذ أنني أشعر بأن هناك ما يجذبني إليها ، و يجعلني أكاد أهيم بها ، ربما يكون هذا الشيء بساطتها أو رقتها أو عشقها للجمال ، لا أدري أيها . وكل ما أدريه أنه ليس شيء مما يجذب الرجل إلى المرأة .. أشعر أنها قريبة لي ابنتي مثلاً ، أو شيء من هذا القبيل .

اقتربت من المحل ، و اكتشفت أن الباب مغلق ، لم أصدق نفسي في البداية ،و ازددتُ اقتراباً إلى أن أيقنت أن عيني لم تخطئا، فوقفتُ برهة أتلفت حولي حائراً ، ثم ذهبت إلى أقرب محل و سألت البائع :

– متى يفتح محل الزهور ؟

اكتسى وجه البائع بغلالة رقيقة من الحزن و الكآبة ، و أجاب:

– لن يفتح .

أحسست كأني تلقيتُ طعنة غائرة في صدري ، لكنني جاهدتُ لأتمالك زمام نفسي ، و تساءلت :

- لماذا ؟

أجاب الرجل :

- صاحبة المحل باعته و سافرت إلى الأسكندرية لتقيم مع ابنتها .

صحت قائلاً بلا وعي :

- هل ستترك هيفاء بمفردها ؟

أجاب الرجل بحزن ، و هو يتناول النقود من أحد الزبائن :

- اذهب إلى المحل لتعرف السبب .

ذهبت إلى المحل و رأيت الملصق المعلق على الباب المغلق، دفعني حب الاستطلاع إلى أن أتأمل صورة هيفاء التي على الملصق و أطالع ما كتب أسفل الصورة "من شهداء ثورة ٢٥ يناير ٢٠١١ ، قتلت في .." ، لم أستطع أن أرى شيئاً بعد ذلك ، فقد انسابت الدموع من عيني و حجبت عنهما الرؤية ، و تسمرت قدماي بالأرض .. لا أريد أن أبرح المكان .

تعهد

تعهد

في هذا المساء ذهب المحامي سعيد عبدالعال إلى مكتبه بالدقي ، وهو في غاية الفرح و السرور ، فقد استولى عليه الإحساس بأن جميع مشكلاته قد تم حلها ، و أنه أصبح قاب قوسين أو أدنى من تحقيق آماله و طموحاته في الحياة ، و أوشك على أن يقوم بتأثيث شقة الزوجية ، إذ رفض قبول أية معونة من والده أو من عبدالعظيم السيد والد خطيبته نجلاء ، و أصر على موقفه حتى إذا اضطر أن يقضي ما تبقى من عمره بدون زواج ، و قد أيدته نجلاء في قراره هذا ، و هو في هذا اليوم لا تكاد الدنيا تسعُه من الفرحة لأنه حصل على مبلغ عشرة آلاف من الجنيهات قيمة أتعابه في قضية ترافع عنها ، و استطاع أن يخفف الحكم على المتهم بالسجن خمسة عشر عاماً بدلاً من السجن المؤبد .

لذلك ما أن وصل سعيد إلى مكتبه و أدار دولاب العمل حتى رفع سماعة الهاتف ، و أدار رقماً حفظه عن ظهر قلب لأنه رقم منزل نجلاء ، و وضع السماعة على أذنه ، و في الحال بلغه صوت عبدالعظيم عند الطرف الآخر من الخط يقول :-

- آلو .. السلام عليكم .

أجاب سعيد بلهجة تنطوي على المرح :

- عليكم السلام و رحمة الله و بركاته ، أرجو أن تهنئني ياعمي.

- لماذا ؟

- حصلت على نقود .

أطلق عبدالعظيم ضحكة عالية جعلت سعيد شعر أنها كادت تجعل الخط يتمزق إرباً إربا ، و تساءل :

- كيف حدث هذا؟ ماذا جعل علاقتك بالفقر تسوء إلى هذا الحد؟

ضحك سعيد و قال:

- إنني ألقيت عليه يمين الطلاق و لا أريد أن يعرفني بعد ذلك .

و بلغة صوت عبدالعظيم على الطرف الآخر من الخط يقول:

- أرجو أن تحكي لي بالتفصيل قصة هذه الخيانة .

- الأمر يحتاج إلى وقت .

- نلتقي غداً .

- هوكذلك .

- مع السلامة .

أعاد سعيد سماعة الهاتف إلى مكانها ، و قد شعر بسعادة عارمة ملأت جوانحه و فاضت حتى كادت تجعل الكون يزدهي بهذا الشعور الرائع الذي اجتاحه و انعكست آثاره على سلوكه و تصرفاته على من تعامل معهم في الوقت الراهن .

و في منتصف نهار اليوم التالي ذهب سعيد إلى منزل عبدالعظيم ، و جلس في حجرة الاستقبال يقص على مسامعهم كيفية حصوله على جزء من المال اللازم لتأثيث شقة الزوجية ، ثم قال:

- أود أن نقوم بجولة في محلات بيع الأثاث .

استصوب عبدالعظيم الفكرة ، وقال:

- ليكن . وسوف نشتري مانراه مناسباً .

- هو كذلك ، هيا بنا .

- انتظر قليلاً .

و بعد قليل كان سعيد و عبدالعظيم و زوجته يجوبون شوارع وسط المدينة ، و ينتقلون من محل إلى آخر يشاهدون قطع الأثاث ، ويساومون على السعر، و توجت الجولة بشراء حجرة النوم و حجرة الاستقبال ، و تم شحن الحجرتين على شاحنة كي تنقلهما إلى شقة عبدالعظيم . عندئذٍ أبدى سعيد رغبته في أن ينصرف ليذهب إلى مكتبه ، فهنأه الزوجان و تمنيا له السعادة و الهناء في مستقبل حياته ، و ودعاه ، فانصرف إلى حال سبيله .

و بعد مضي بضعة أيام ، و كان سعيد جالساً في حجرته يشاهد فيلماً بالتلفاز ، رن جرس الباب بقوة ، ففتح سعيد الباب ، و رأى خلفه اثنين من أمناء الشرطة ، قدم أحدهما له ورقة بها استدعاء إلى قسم الشرطة ، فاستولت الحيرة على سعيد و أراد أن يعرف السبب ، فرفض أمينا الشرطة أن يخبراه بشيء ، و غادرا المنزل و تركاه غارقاً في التفكير ، غير أنه ذهب إلى القسم ، و التقى بضابط المباحث الذي حدداه له ، و بدأ الضابط المكلف بالتحقيق معه في كتابة محضر التحقيق .

"إنه في يوم .. الموافق .. بناء على البلاغ المقدم من محمد محمود الشنواني صاحب محلات "الكرامة للموبيليا" إلى اللواء .. مأمور قسم .. للإبلاغ عن وجود ألفين من الجنيهات المزيفة ضمن مبلغ خمسة عشر ألفا من الجنيهات ثمن حجرة نوم وحجرة استقبال

اشتراهما الأستاذ سعيد عبدالعال محمد المحامي بالنقض و الاستئناف ، و قام النوبتجي على صابر بالتحقيق مع المحامي المذكور عاليه على النحو التالي:

س : كيف حصلت على هذه النقود؟

ج : أتعابي عن المرافعة في قضية حمدون الخضري .

س: من أعطى لك النقود؟

ج: المتهم حمدون الخضري .

س : هل علمت أن أتعابك بها نقود مزيفة؟

ج : لا . ما أعلم هو أن النقود غير مزيفة .

س : كيف علمت؟

ج : حذرته من أن يكون لديه نقود مزيفة ، و أكد لي أنه تخلص منها ، و أنه يبغي توبة نصوحاً لأنه لا يريد أن يعود إلى السجن بعد أن تنتهي مدة العقوبة .

و استمرت بعد ذلك التحقيقات إلى أن أقفل النوبتجي المحضر في ساعته و تاريخه ، و أمر سعيد بأن يعطي لصاحب محل الموبيليا قيمة النقود المزيفة ، فكتب سعيد تعهداً بأنه سوف يدفع ثمن قيمة المبلغ في القريب العاجل ، و أفرج عنه بضمان محل إقامته .

صداقة

صداقة

بدأ موسم الصيف ، و عرضت شركة "الأزياء المصرية" فى فتريناتها كل ما هو جديد فى عالم الأزياء من موضات عالمية ، و علم فوزى هاشم صاحب الشركة بقيام مصنع سفنكس للأزياء بتفصيل موديلات حديثة ، وبعد ان أمعن التفكير ، كتب رسالة إلى مدير المصنع طلب فيها أصنافاً يعينها ، و حدد له المقاسات المطلوبة ، و رجاه أن يرسل مع حامل الرسالة عرضاً بالأسعار ، ثم أنهى فوزى الرسالة ونادى قائلاً :

- يا كمال .

وأتى كمال يهرول من ناحية الردهة ، و وقف أمام مكتب فوزى ، وقال:

- أمرك يا فوزي بك .

تساءل فوزى قائلاً :

- هل تعرف مصنع سفنكس ؟

أجاب كمال بزهو :

- أجل يا سعادة البك ، لى صديق هناك ، الجناينى .

ناول فوزى الرسالة لكمال ، و قال بلهجة آمرة :

- سلم هذه الرسالة لمدير المصنع و انتظر إلى أن يعطى لك الرد ، وعد مسرعاً ،

- أمرك يا سعادة البك .

وضع كمال الرسالة فى حقيبة من البلاستك و غادر الشركة على الفور ، و ذهب إلى الشارع و سار فيه ، و على مقربة

المصنع رأى كمال بائع الأوانى المصنوعة من البلاستيك واقفاً أمام عربته يبيع لبعض المارة .

نظر كمال إلى الأوانى متفحصاً و كان يريد شراء إناء بعينه لم يعثر عليه لدى من صادفهم من الباعة ، لذا ما أن رأى الإناء حتى صمم على أن يبتاعه ، و سر كمال أن الإناء لم يكن غالى الثمن ، فابتاعه و حمله فى سرور و سار ذاهباً إلى المصنع ، ومر من باب الفيلا التى يقع المصنع فى الطابق الأول منها .

وكان صديقه الجناينى واقفاً على مقربة من الباب يتحدث إلى أحد موظفى المصنع ، صافحه كمال و تبادل معه بضع كلمات ، و وضع الإناء بجوار جدار ، و قال له فى رجاء :

- أرجو أن تحرسه إلى أن أعود .

- أمرك .

ذهب كمال إلى مدير المصنع و سلمه الرسالة و انتظر إلى أن أعطى له رسالة أخرى ، و غادر المكتب و ذهب إلى حيث وضع الإناء فلم يجده فى مكانه ، و بحث عنه في أرجاء الحديقة دون جدوى ، فأحس بالضيق و ازداد ضيقه عندما سأل عن صديقه و علم أنه غادر المصنع ، فوقف كمال برهة يفكر فى حيرة ، و ما لبث أن رأى رجلاً خارجاً من باب المصنع و بيده اليمنى إناء يشبه تماماً الإناء الذى اختفى ، فهرول كمال إليه و أشار ناحية الإناء و قال :

- أرجو أن تعطى لى هذا الإناء . هذا إنائى و قد اشتريته من البائع منذ قليل .

نظر الرجل إلى كمال بازدراء ، وقال باحتداد :

- إننى لم آخذه منك فلماذا أعطيه لك ؟!

غضب كمال أيماً غضب و صاح قائلاً:

- كيف تتجاسر على الاستيلاء على إناء لا تملكه ؟!

اشتبك الرجلان فى عراك و تبادلا اللكمات و الشتائم ، فتطوع اثنان من عمال المصنع لفض النزاع بين الرجل و كمال ، ثم تساءل أحدهما :

- من منكما صاحب الإناء ؟

أجاب الرجل و كمال فى آن واحد :

- أنا .

ابتسم العامل فى دهشة ، و تبادل نظرة مع زميله ، و جاهد لكى يخفى ابتسامتة و تساءل :

- كيف حصل كل منكما على هذا الإناء ؟

أجاب الاثنان فى آن واحد :

- اشتريته .

أصر كمال على أن يحصل على الإناء ، و أصر الرجل على ألا يعطى الإناء لكمال ، و انصرف عاملا المصنع إلى حال سبيلهما ، فاشتبك كمال و الرجل فى عراك من جديد ، و بلغ صوت عراكهما

أذنى مدير المصنع ، فأسرع إليهما و سألهما عن سبب العراك ، فروى كل من كمال و الرجل قصته ، عندئذ قال مدير المصنع لكمال:

– لم يكن لديك إناء عندما أتيت إلىّ فى المكتب ، إننى لا أصدق حكاية وضع الإناء بجوار الجدار هذه .

دافع كمال عن نفسه قائلاً :

– لكن هذا ما حدث .

قال مدير المصنع بثقة و اعتداد :

– ابحث عن حيلة أخرى ، العمال هنا لا يسرقون .

شعر كمال بحرج موقفه ، لكنه تمالك زمام نفسه ، و قال :

– سل الجناينى ، لقد كان واقفاً هنا و رآنى و أنا أضع الإناء بجوار الجدار .

قال مدير المصنع باعتراض :

– أين الجناينى من هذا ؟! لقد أرسلته من وقت طويل ليشترى بعض الطلبات .

– سأنتظره إلى أن يأتى .

بعد قليل ، عاد الجناينى حاملاً حقيبة كبيرة من النايلون فى كل يد ، و ما أن رآه كمال حتى بدا كأنه عثر على طوق النجاة بعد بحث طويل ، فأسرع إليه مستنجداً به و روى له ما حدث .

وكان مدير المصنع يراقب الموقف عن كثب ، فسأل الجناينى :

– هل رأيت الإناء عندما غادرت المصنع ؟

- لا.

قال مدير المصنع لكمال :

- ها أنت رأيت من احتكمت إليه ، تصحبك السلامة إذن .

فغادر كمال المصنع و هو فى حالة ضيق و غضب بالغين

الهارب

الهارب

وقف عبدالعزيز في الحقل ينظر إلى كومة القمح بتأمل ، ثم لاح السرور على وجهه ، فقد فطن إلى أن المحصول في هذا العام وفير إلى حد لم يكن يتوقعه ، و استغرق عبدالعزيز في التفكير لحظة ثم نادى :

- يا نظير . يا ولد يا نظير .

أتى نظير من ناحيةٍ من الحقل يخب في جلبابه الفضفاض الذي نادراً ما يغيره ، و وقف قبالة عبدالعزيز ، و قال :

- أمرك يا أبي .

أشار عبدالعزيز تجاه القمح ، و تساءل في شيء من التهكم :

- ألم تفكر فيما ينبغي أن نفعل بهذا ؟

أجاب نظير :

- فكرت لكنني أنتظر أوامرك ، أنت الخير و البركة يا أبي .

قال عبدالعزيز :

- ضع القمح في أجولة يحملها الحمار إلى المنزل .

قال نظير :

- أمرك يا أبي .

تساءل عبدالعزيز :

- هل تريد أن يعاونك أحد ؟

أجاب نظير بسرعة :

- لا أريد معونة من أحد ، إننا أولى بالنقود من الغير .

قال عبدالعزيز في سرور :

- و هو كذلك يا بني .

و دس يده في جيب جلبابه ، و تناول المفاتيح و أعطاها لنظير ، و قال :

- خذ مفاتيح المخزن ، و لا ترهق الحمار في الحمولة و السير .

و اقترب من نظير و ضغط بأصابع يده اليمنى على شحمة أذنه اليمنى ، و تساءل:

- ماذا ستفعل ؟

كرر نظير ما قال أبوه ، و أردف :

سأجعله يستريح كلما أحس بتعب .

قال عبدالعزيز في تحذير :

- و لا تنس الطعام و الشراب ، أرجو ألا تنسى أنه مخلوق مهم .

- أعرف أنه مهم جداً .

- هيا بنا إذن .

ذهب عبدالعزيز و نظير إلى القمح ، و ملآ الجوال و أحكما إغلاقه ،وغاب نظير دقائق ، أتى بعدها و هو يقود الحمار و استوقفه على قيد خطوات من كومة القمح ، و حمل الرجلان الجوال و وضعاه على ظهرالحمار ، و قاد نظير الحمار و سار فى شوارع القرية وذهب إلى المنزل ، و ظل الحمار رائحاً غادياً من الحقل إلى

المنزل و العكس عدة مرات متعاقبة إلى أن نال منه التعب ، غير انه لم يبد بادرة تشير إلى ذلك .

لذلك عندما وضع عبد العزيز و نظير الجوال على ظهر الحمار مال الجوال إلى ناحية ، و سقط قبل أن يتمكن الرجلان من منعه ، فاستشاط غضب عبد العزيز ، و صب جام غضبه على نظير، واتهمه بالغباء ، وأضاف :

- أنت مجرم قاسي القلب لا تعرف الرحمة .

و اختطف من نظير العصا التى كان يضرب بها الحمار ، وطوحها فى الهواء ليضرب نظير ، لكن نظير فر هارباً ، و هرول عبد العزيز وراءه و هو يهدد و يتوعد .

وبلغ صوت شجارهما رجلين كانا على مقربة من الحقل ، فجاءا على الفور ، و تدخلا لفض النزاع بين عبد العزيز و نظير ، و شكى عبد العزيز لهما ما فعل نظير ، و برهن على صدق حديثه بأن جعلهما يريان ما حدث للحمار ، فقال :

- انظرا إليه لتريا حقيقة ما فعل .

و كان الحمار راقداً على الأرض لا يبدى حراكاً ، باسطاً أطرافه الأربعة ، فصاح أحد الرجلين قائلاً :

- لقد نفق الحمار .

و انحنى على الحمار يفحصه بتأمل ، و فكر لحظة ، ثم قال :

- هلم بنا نلقي به بعيداً .

حمل الرجال الحمار إلى خارج الحقل ، و سعيا إلى أن يهدئا روع عبد العزيز ، و ان يخففا عنه مصابه ، و استحلفاه بكل عزيز ليه حتى لا يتشاجر مع نظير مرة أخرى ، و انصرفا إلى حال سبيلهما .

و بعد تفكير عميق نظر عبد العزيز إلى نظير ، و قال :

- سوف تبيت هنا لتحرس القمح .

لاح الضيق على وجه نظير ، وقال :

- أمرك يا أبي .

غمغم عبد العزيز ببضع كلمات لاتبين و سار مغادراً الحقل ، و راقبه نظير إلى أن أختفى عن ناظريه ، و ذهب إلى شجرة الليمون، و جلس يستريح برهة ، ثم رقد على الأرض متوسداً ذراعه ، و ما لبث النعاس أن حمله على جناحيه برفق و طار به إلى عالم تطيح فيه الأحلام بمتاعب و آلام الواقع .

و كان الحمار قد نال قسطاً من الراحة و أخذ يسترد شيئاًمن عافيته و طاقته ، و فتح عينيه فى بطء و تمهل ، و اكتشف أنه بمفرده فى منطقة نائية ، و اعتصر ذهنه ليعرف المكان ، و أدرك أنه فى الطريق المؤدى إلى الجبل ، و فكر مرة أخرى ليعرف السبب الذى من أجله أتى إلى هذا المكان .

و عندما استعاد بذهنه ما مر به اليوم من احداث ارتسمت على صفحة خياله و تلاحقت كأنها شريط فيلم سينمائى ، شعر أنه

حاجة إلى المأكل و المشرب ، فأخذ يبحث عنهما إلى أن وفق فى
العثور عليهما .

جلس الحمار فى كهف صغير بالجبل و قد استولت عليه فكرة
أنه يجب أن ينال حريته و أنه فى حاجة إلى الحصول على المال و
القوة ، و أخذ الحمار يقلب الأفكار فى ذهنه على جميع الوجوه و
الزوايا و عندما اطمأن إلى صحة تفكيره اتجه إلى التفكير فى إيجاد
السبل المناسبة للحصول على المال ، وعندما هداه تفكير إلى إحداها
صمم على تنفيذ الفكرة ..

و من ثم ذهب إلى قرية من القرى المجاورة ، و سار فى
طرقاتها يتأمل حوانيتها و منازلها إلى أن وصل إلى مصبغة رأى
بها رجلاً واقفاً وراء وعاء به محلول مادة سوداء اللون يضع به
قطعة من الثياب الملونة ، و يتلون النسيج باللون الأسود ، فشعر
الحمار بالدهشة و التعجب ، و وقف يراقب الرجل برهة و هو يفكر،
فما غادر الرجل المكان ليعد لنفسه كوباً من الشاى حتى هجم
الحمار على الوعاء و سكب الصبغة على رأسه و بدنه و فر هارباً ،
و أخذ يهرول إلى أن ابتعد عن المصبغة مسافة طويلة ، ثم وقف
يستريح فى بقعة هادئة وقد عرض بدنه للشمس و الهواء لتجف
الصبغة ، و سره سروراً بالغاً أن تغير لونه من الأبيض إلى الأسود.

بعد قليل قام الحمار بجولة فى شوارع القرية ، و قد خلبت
الحلى و المجوهرات لبه ، فوقف أمام محل الجواهرجى يتأمل

الفترينات برهة ، ثم نظر داخل المحل و رأى شاباً يـشترى الحلـ لفتاة جميلة ، و طغت مظاهر الفرحة على المحل ، فوقـف الحمـ يراقب ما يدور أمامه فى دهشة و انبهار ، و ما لبـث الحمـار أدرك أن والد العريس محتفظ بالنقود فى جيبه ، ففكر برهة و انس ذهباً إليه ، و عندما شغل الرجل بما حوله مد الحمار لسانه فى جي الرجل برفق و تناول حافظة النقود ، و أمسكها بقوة بفكيه القوي ، و فر هارباً .

عاد الحمار إلى الكهف ، و أخفى النقود فى حفرة و غط بأوراق الشجر ، و جلس مستغرقاً فى التفكير و أدرك ما يمكـن تحققه له النقود . فذهب إلى الحفرة و زادهـا اتـساعاً و عمقـ وأخفاها بالحجارة و أعواد الحطب الجافة ، و غادر الكهف و ذه ليعيد الكرة و يحصل على مزيد من النقود ،

و عندما امتلأت الحفرة بالنقود وقف يتأملها فى سرور ، لبث أن ألحت على ذهنه أسئلة كثيرة منها : "ماذا بعد أن حقق ه النجاح ؟ و ماذا يفعل بالنقود ؟ و هل يظل فى الكهـف بمفـرد يونس وحدته مخلوق آخر ؟"

و أمعن الحمار التفكير ، و توصل إلى أنه ينبغى أن يكون أعوان يختارهم بدقة و عناية بالغة ، و من ثم كان الحمار يتج فى الأسواق و يراقب الكائنات المختلفة و يختار ما يصلح أن من اعوانه .

وفى يوم ما استولى على الحمار الإحساس بأنه أصبح ذو قوة لا يستهان بها ، و أراد أن تصبح واضحة للعيان و أن يزهو بها ، فأمعن التفكير برهة ثم جمع أعوانه و قال لهم :

- إننا منذ الآن ينبغي أن نسير في موكب يليق بنا و بمكانتنا في المجتمع ، لكي يحترمنا الجميع و يهابوننا .

أجاب الجميع فى صوت واحد :

- موافقون .

و دار نقاش بين الحمار و أعوانه لاختيار الشكل المناسب للموكب ، و بدأوا فى اتخاذ الخطوات العملية للظهور بهذا الشكل لكى يتعودوا على الظهور به .

و كان نظير مازال راقداً يغط فى نومه ، و رن فى أذنيه فجأة صوت أجش ينادى عليه :

- يا نظير .. قم أيها الغبي ، انهض يا نظير .

و ترددت أصداء النداء فى أجواء المكان ، و صارت مصاحبة للمَوكب كما تصاحب الموسيقى التصويرية المشهد فى شريط الفيلم السينمائى ، و ترددت أصداء النداء فى أذنى نظير مرات ، ثم شعر بيد قوية تهزه بعنف .

بذل نظير جهداً كبيراً لينتزع نفسه من جو الحلم و يفتح عينيه، و نظر إلى مصدر الصوت و رأى عبد العزيز واقفا على قيد خطوتين و العصا فى يده اليمنى كأنه يريد أن يضربه .

فأحس نظير برجفة تسرى فى أوصاله و نهض بسرعة ، و وقف برهة حائرا لا يدرى ماذا يفعل ، فنظر عبد العزيز إليه فى دهشة ، و قال فى لهجة امتزجت بالعتاب :

- لم أدعك هنا لتنام .. قم انهض حمّل الحمار و اذهب به إلى المنزل .

نظر نظير إلى أبيه فى إنكار و تساءل :

- أية حمار ؟!

تفاقم غضب عبد العزيز ، و قال :

- الحمار .. هل نسيت الحمار ؟! ماذا دهاك ؟

قال نظير بثقة :

- لقد مات و شبع موتاً .

قال عبدالعزيز :

- أنت الذي ..

بلغ آذانهما في هذه اللحظة صوت نهيق حمار من ناحية من الحقل ، فأردف عبدالعزير :

- ها هو .

ألقى نظير ناظريه ناحية الصوت ، و رأى الحمار واقفاً و أمامه حزمة من البرسيم يأكل منها في تأني و هدوء ، فهرول نظير تجاهه و الدنيا لا تكاد تسعه من الفرحة .

الفهرس

عنوان القصة	الصفحة
١- من الوايلي إلى شبرا	(٣)
٢- صورة في إطار	(١٥)
٣- شأن من الماضي	(٢٧)
٤- في مهب الريح	(٤١)
٥- تأشيرة	(٥٥)
٦- دعوة	(٦٣)
٧- وثيقة	(٧٢)
٨- لقاء	(٨٠)
٩- تعهد	(٨٩)
١٠- صداقة	(٩٥)
١١- الهارب	(١٠٢)

رسوم

محمد الشحات محمد

إخراج فنى

دار النسر الأدبية

صدر للمؤلفة

الإصدار		النوع الأدبي
١- الأرنب المغرور	....	(مجموعة قصصية للطفل)
٢- غرام عطية	....	(مجموعة قصصية للكبار)
٣- عدلات هانم	....	(مسرحية)
٤- غرباء و لكن	....	(مسرحية)
٥- عبر الهاتف	....	(مجموعة قصصية للكبار)
٦- حقيبة سمير	....	(قصة للطفل)
٧- الأرنب شرشر	....	(قصة للطفل)

رقم الإيداع بدار الكتب و الوثائق القومية

٢٠١١/٧٧٠٤